أسرار الموت

د / موسى الخطيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾
لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ
وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

(سورة المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠)

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان الي يوم الدين، الذين أعدوا للأمر عُدته، وأخذوا له أهبته، فأسهروا ليلهم يصلون ويستغفرون، ويناجون الله، ويرتلون كتابه، وأظمؤوا نهارهم تقربًا الي الله بالصيام، لانهم علموا أن الأمر جد، ولا نجاة من النار، ولا فوز بالجنة إلا بالتشمير عن ساعد الجد.

قال تعالي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران :١٠٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء : ١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الاحزاب ٧٠ - ٧١)

ولقد أحسن القائل:

إن لله عبـــاداً فطنا(١) طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا أنهـــا ليست لحي وطنا

جعلوها لجة(٢) واتخذوا صـالح الأعمال فيها سفنا

---

(١) فطنا : من له عقل ونظر في العواقب

(٢) لجة : بمثابة البحر.

فحقٌ علي الانسان المكلف أن يذهب بنفسه مذهب الأخيار ويسلك مسلك أولي النُهي (١) والأبصار، ويتأهب لما أشرت إليه، ويهتم لما نبّهت عليه.

(وبعد) .. فأن لكل نفس في حياتيها الدنيوية والأخروية دوراً أربعا .. لكل دار منها أعظم من التي قبلها وأطول زمنا من سابقتها .

والله عز وجل ينقل النفس في هذه الدور من حال حتي يبلغها دار القرار التي لا يصلح لها غيرها، ولا يليق بها سواها وهي التي خُلقت لها .. وهُيئت للعمل الموصل إليها..

وللنفس في كل دار شأن غير شأن الدار الاخري، فسبحان من شملت قدرته كل مقدر، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، سبحان من أبدع وصّور، وخلق فسوّى، وقدّر فهدي، وأمات فأحيا .. وهذه الدور مرتبه كما يلى :

* الدار الاولي :(بطن الأم) : فالجنين في بطن أمه تغشاه ظلمات ثلاث .

أولها غشاء السلي (الأمينون) وهو يحيط بالجنين مباشرةمن كل جوانبه .. وفي مائه يتحرك الجنين يليه غشاء المشيمة .. ثم يليه الغشاء الساقط وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة أو الاجهاض .. وسُمّي بالسقاط لأن الرحم يسقطه مع الأغشية.

قال تعالي : ﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث﴾ (٢)

وهو في هذه الدار ينتقل في تكوينه من خلق الي خلق، ومن طور الي طور فمن نطفة الي علقة، ومن علقة الي مضغة ﴿مخلقة وغير مخلّقة﴾، ومن مضغة الي عظام عارية من اللحم إلى مكسوة لحما الي مخلوق بديع قد دبت فيه الحياة، وسرت فيه الروح سريان الماء في العود الأخضر، وأنبعثت في كل أعضائه حتي أصبح بشراً سوياً، ومخلوقا عجيبا.

---

(١) أولي النهي : أصحاب العقول

(٢) سورة الزمر : آية ٦ . وقد ذهب المفسِّرون القدامي الي أن الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم وظلمة المشيمة

قال تعالي :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ (المؤمنون)

هذه الدار هي أقصر الدور الأربع أمداً، وأضيقها مجالا، وأخفها أثراً، أضعفها احتمالا.

* الدار الثانية : دار الكفاح، ودار العمل، حياتنا الدنيا، ودار عالمنا المشاهد الذي نعيش فيه والذي كلفنا فيه المولي القدير بتكاليف مستطاعة، وجعل أحكامه الشرعية مرتبة علي ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه، لذا فمن قام بها علي الوجه الأكمل سعد في دنياه وآخراه، ومن أهملها وطرحها خلف ظهره خسر خسرانا مبينا، وضلّ ضلالا بعيداً. والانسان في هذه الحياة ينتقل من حال الي حال فمن ضعف الطفولة الي قوة الشباب، ومن قوة الشباب الي ضعف الكبر وأرذل العمر. قال تعالي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾

آية - ٥ - (الحج)

هذه الدار مدتها أطول، ومجالها أوسع، وآثارها أشهر من التي سبقتها.

* الدار الثالثة : دار البرزخ الذي يبدأ بالموت وينتهي بالبعث

قال تعالي : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ آية - ١٠٠ (المؤمنون)

ونسبة هذه الدار الي الثانية كنسبة الثانية الي الاولي، فيمكنك أن تعد مدة الأولي باحاد الشهور، ومدة الثانية بعشرات السنين، ولكنك في هذه الدار لك أن

تعدها بمئات السنين والقرون. وتجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً،كما تجرى أحكام الدنيا علي الأبدان فتسري الي أرواحها نعيما أو عذابا،ففي هذه الدار تكون ضغطة القبر وضمته، ونوره وظلمته، واتساعه وضيقه، وعذابه ونعيمه، وسؤال الملكين .. فالقبر إما روضة من رياض الجنة، وأما حفرة من حُفر النار ، فالارواح في البرزخ إما معذبة شقية،مغلولة مقيدة، وإما منعّمة مرسله.

فالمعذبة في شغل شاغل لها بما هي فيه من العذاب عن الانطلاق، وعن التزاور والتلاقي .

والمنعمة المرسلة غير المحبوسة تنطلق وتتلاقي وتتزاور، وتتذكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا، ويكون لكل روح رفيقها الذي علي مثل عملها، يقول الله تعالي

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ آية ـ ٦٩ (النساء)

وهذه المصاحبة وتلك المعية ثابتة في الدنيا،وفي دار البرزخ، وفي دار الجزاء.

والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثه .. والأرواح جنود مجنده تتعارف وتتآلف.

والناس من قديم قد شغلهم وأهمهم استكشاف كفة الموت وما بعده، وفي هذا العصر الذي طغت فيه المادة، وألهتهم مفاتن الحياة وزخارفها عن ذكر الموت هازم اللذات ومفرق الجماعات، ومن ثم اتجهت النية مخلصة الي مثل هذا اللون من التأليف الذي يرقق القلوب، ويستهوي الأفئدة، ويؤثر في النفوس تأثيراً بليغا، ويحملهم علي إعداد أنفسهم للحياة الباقية، والدار الآخرة.

* الدار الرابعة : دار الجزاء، ودار الخلود، ودار البقاء،

قال تعالي:﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت :٦٤)

هذه الدار هي دار السعادة الأبدية، كما أنها دار الشقاوة السرمدية.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

(هود: ١٠٦- ١٠٨)

فاللهم اجعلنا من عبادك السعداء الموفقين، ولا تجعلنا من عبادك الأشقياء المحرومين. واهدنا صراطك المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين. والله أسأل أن يُكتب لمؤلفي هذا القبول والتمكين، والنظر إليه بعين الرضا والتقدير.

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ كما أن عين السخط تبدي المساويا

وأرجو من قرائه الكرام أن يغضوا النظر عن هفواته وأخطائه، فإن العصمة لله وحده والكمال لله رب العالمين ..

وبالله التوفيق.

﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ (هود)

المؤلف

الدكتور / موسى الخطيب

الفصل الاول

الموت .. والحياة

قال الله تعالي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (١)

الموت مخلوق كالحياة ...

والموت دنيا كالحياة ...

والحياة كذلك مخلوقة كالموت .. ومختومة بالموت ...

والموت حياة ...

الموت في الحقيقة كما قال بعض العلماء : ليس بعدم محض .. ولافناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقة وحيلولة بينهما، وتبدل حال . وانتقال من دار الي دار (أي من دار التكليف والعمل الي دار البرزخ والسؤال) ..

فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : «إنما خُلقتم للأبد والبقاء ولكنكم تُنقلون من دار الي دار» .

وكان بلال بن سعد يقول في وعظه: « يأهل الخلود، و يأهل البقاء انكم لم تُخلقوا للفناء، وإنما خُلقتم للخلود والأبد، وإنكم تُنقلون من دار الي دار» .

وحياتنا هذه هي حياة الموت .. وحياة للموت

وموتنا ذاك هو موت الحياة ..

تباركت يا واهب الحياة .. ويا خالق الموت .. يا من جعلت الموت ابتلاءً والحياة

---

(١) سورة الملك : آية رقم ١

اختباراً.

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .

ولعل في تقديم لفظ الحياة علي الموت في التعبير القرآني ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ للإشعار بأن الموت هو الحياة ..

وأن الحياة موت، وأن الموت في الحقيقة هو بدء الحياة ... الحياة الحقة العليا لا الحياة الدنيا..

الحياة الدنيا:

الحياة الدنيا .. عبث .. عَرَض .. متاع .. غابة موحشة مقفرة إلا من زواحف وحيات .. هذه هي الحياة الدنيا .

تناقض .. تقلّب وتلون، أنواء متغيرة، رياح هوجاء تلفح وتصفع .. هذه هي طبيعة الحياة الدنيا.

غرور وتطاول .. وقلبٌ قُدَّ من حجر، وطغيان وأنانية ثم أشلاء غضة .. هذا هو إنسان الحياة الدنيا .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝ ﴾ (١)

تتفتح أعين الناس أول ما تنفتح علي دنياهم المحيطة بهم فتسحرهم وتبهرهم وتعجبهم، وتخدعهم بما فيها من نعم ومتاع وضياء وأضواء .. ثم يضع العدم .. علي غير موعد معهم .. خاتمة كل الحيوات.

ويصبحون في ضمير الغيب أثراً وذكراً، ومثلا وذكري كأن لم يَغْنوا في دنياهم

---

(١) من سورة الكهف : آية ٤٥.

عندما عجزت بما فيها ومن فيها عن أن ترد عنهم غائلة قضاء أو تمنع ضربة قدر أو تبعد شبح فناء أو وباء !

والقرآن الكريم في أكثر من موضع يحذر مغبة هذه العاقبة وينعي علي أهل الدنيا استكانتهم إليها وخدمتهم لها.

وهو في الوقت نفسه لا يحارب الدنيا محاربة دائمة مطلقة. فهي في نظره مرغوبة مطلوبة أيضا، مرغوبة ليتخذها المرء مطية يصل بها الي النعيم الأخروي، وسبيلا يعبره ليعمر حياته الأخري الخالدة، ومزرعة يبذر فيها صالح العمل وصحيح العقيدة، وينشر في أرجائها الهدىَ والسلام؛ ليجني في آخرته الجزاء الخالص والخير الخالد .

يقول عليه السلام : «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه» كما قال : «نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة».

فالعزوف عن الدنيا جريمة في نظر الاسلام بدليل أن الله جل شأنه يقول : ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ ويقول عز من قائل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ . آية ـ ٣٢ ـ(الأعراف)

ويقول حسن البصري في كتابه «أدب الدنيا والدين» : (إن الله جعل الدنيا دار تكليف وعمل كما جعل الآخرة دار قرار وجزاء فلزم لذلك أن يصرف الانسان الي دنياه حظاً من عنايته؛ لإنه لا غني عن التزود منها للآخرة، ويقول لله تعالي مخاطبا نبيه عليه السلام : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۞﴾

وقد ضرب القرآن الكريم أكثر من مثل للدنيا، ورسم بأسلوبه المعجز أكثر من لوحة فنية تمثل قوة الدنيا الضعيفة وخلودها الفاني، ومجدها الزائل، لعل ذوي الفطرة السليمة، والفكر الغيّرة الصائبة يثوبون الي بارئهم، ويفيئون الي ظلال الحق

فيعملون لدينهم ودنياهم،عملا بحديثه عليه السلام «واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»

قال تعالي : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

وتسوق لنا سورة الحديد مثلا للحياة إبان الدوافع التي تغري أهل الدنيا بالاطمئنان الي حيواتهم، كما يبين المثل سرعة زوال الدنيا وذهابها بعد أن شبهها بالنبات الذي ارتفع والتف وطال وتطاول حتي أعجب الزارعين والرائين ثم سرعان ما اصفرّ بعد نضرة، وذوي بعد قوة، ولم يلبث أن تهشم وتحطم وتهاوي وتلاشي.

قال تعالي : ﴿ اعْلَمُوٓا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾

إنسان الحياة :

يتحدث القرآن الكريم عن إنسان الحياة وغروره، ونشأته، وعن ضعفه وتاريخه ونهايته فيقول عز من قائل ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ

(١) حصيداً : محصوداً
(٢) كأن لم يكن موجوداً
(٣) آية ٢٤ من سورة يونس
(٤) آية ٢٠ من سورة الحديد

﴿ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ (١)

بداية ونهاية .. خلقٌ وايجاد.. تكليف وجزاء .. قصة وخاتمة .. هذا هو تاريخ البشرية منذ نشأتها الي نهايتها .

وعن حياة الانسان وعن دنياه في بطن أمه يقول القرآن : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ (٢)

فالبشر كلهم يمرون بأكثر من حياة .. يمرون بحياة الذّر .. وبحياة الأجنة في بطون الأمهات ثم إنهم يقطعون مرحلة الحياة الدنيا .. حياة التكليف والعمل ..

وفي أنتظارهم بعد ذلك حياة البرزخ .. ثم من بعدها الحياة الأبدية الدائمة .. حياة الجزاء والخلود .

والقرآن يخاطب إنسان الحياة، فيقول عزّ من قائل : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ آية ـ ٥٥ ـ(طه)

حيوات ثلاث نصّت عليها هذه الآية الشريفة .

منها خلقناكم أي : من تراب الأرض خلقناكم لتحيوا عليها حياتكم الأرضية وهي الحياة الدنيا.

وفيها نعيدكم بالموت لتحيوا الحياة البرزخية ومنها نخرجكم تارة أخري ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ آية ـ ٥١ ـ(يس)

الي الحياة الابدية الخالدة، لينعموا بما قدموا من عمل وتوبة .. ورجوع. يقول الله تعالى﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ آية ـ ٦٤ ـ(العنكبوت)

وهنا في دنيا الانسان لحظات رجوع - ما أحيلاها .. فيها يفئ الانسان الي خالق الانسان ومصوّرة ومبدعه ..

---

(١) آية ١٦ من سورة المؤمنون .

(٢) آية ٦ من سورة الزمر

لحظات من التأمل والأشراق والصفاء والتسامي .. من الكون الي بارئ الكون .

لحظات تفكر في آلاء الله وبديع صُنْعه وجميل خلقه، وجليل نعمه .. لحظات تعدل الكون وما فيه .. بل تفوق الكون وما فيه .

فيها يعود الانسان الي الله .. يغسل العبدأدرانه، ويُلقي أوزاره، ويتحلل بين يدي سيده مما أثقله وأهمّه، فيحس أنه إنسان غير الأول، إنسان ذو روحانية وشفافية، ويصغر في عينيه ما تكالب عليه من قبل من حُطام ومتاع .

ويفئ الي واحة ظليلة من الأنس بالله .. ومن الأمن والإيمان، قال تعالي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ آية ـ ٨٢ ـ(الأنعام)

الوفاة .. الأجل والميقات المعلوم

حين يأتي الأجل في أية لحظة، وعلي أية هيئة، تتم الوفاة في صحو أو نوم، في انتباه أو غفلة، في سير أو وقوف، في حركة أو سكون، في حرب أو سلام، متي حان الحين كان الموت، وكانت الوفاة، يقول الله تعالي : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والتي لم تمت فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(١)

يتوفي الله الناس جميعا وفاة يومية عند النوم، يسلب الإحساس من النائم ويقبض روحه التي تهيم في دنياها وعالمها .. ولا يربط الجسد بالروح آنئذ إلا رابط في رقة الخيط ورقته .. ولا تكون إلا أنفاسٌ تتردد .. وتعلو وتهبط وليس من فرق بين النائم نومة يومية، وبين النائم نومة أبدية .. فيقبض الله التي قضي عليها الموت، أما الأخرى النائمة نومة مؤقتة فيعيد إليها الاحساس ويردلها الروح، ويرسلها الي الأجل الذي سمّاه لها، قال تعالي : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (٢) آية - ٦٠ - (الأنعام)

النوم وفاة .. وفي كل يوم يتوفانا الله عند منامنا، إلا ان الروح تري وتمرح ما شاء الله لها، والجسد راقد ساكن لذا قال رسول الله ﷺ: «النوم أخ الموت»

وعن حذيفة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يقول عند النوم «باسمك اللهم أموت وأحيا»، فإذا استيقظ قال : «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»

---

(١) آية ٤٢ من سورة الزمر

(٢) من سورة الأنعام

..الميقات ..

إن لكل أجل وقتا معلوما لدي الخالق مجهولا عند الخلق ..قال تعالي: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾[1]

كم من شامخ متين البنيان قوي الجنان .. هو الصحة كل الصحة .. هو القوة والفتوة .. دماء حارة متدفقة .. بريق ومضاء، عزم ومرح وشباب .. وخيلاء وزهو .. وما هو إلا هنيهة حتي يقف القلب ويخمد النفس وتسري برودة العدم في أوصاله فإذا هو لا شئ وهو الذي كان ملء السمع وملء البصر ، وفي آونه، بل في ومضة أضحى شبحا وأصبح ذكرى .

قالت ليلي الأخيليه [2] من قصيدة لها (من بحر الطويل) في الرثاء :

لعمرك ما بالموت عارٌ علي الفتي	إذا لم تُصبه في الحياة المعاير[3]
ومـا أحدٌ حيٌ وإن عاش سالمـا	بـأخلد ممن غيبته المقـابر
وكل شـباب أو جديد إلي بليً	وكل امرئ يوما الي الله صائر

إن بين المرقد اليومي والمرقد الأبدي أقل من ومضة وأضأل من آونه، إنما هي شهقه فإذا مصير ومسير .. وإذا حياة غير الحياة. يقول عدى بن زيد :

وصحيح أمسي يعود مريضا	وهو أدني للموت ممن يعود

وقال أبو العتاهية :

أومل أن أخلدّ والمنايـا	يثبن عليّ من كـل النواحى
وما أدرى إذاأمسيت حيا	لعلى لا أعيش الى الصباح

لا جرم،أن أى امرئ لا يدري ميقات الوفاة،فهناك أشياء اختص بعلمها العليم

---

(١) آية ٥١ من سورة الاسراء.

(٢) هي ليلي بنت عبد الله الأخيلية من عامر كانت شاعرة عظيمة، وكان توبة يهواها، وهو من بني عقيل من عامر أيضا. وقال فيها الشعر

(٣) المعاير : المعايب.

الخبير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[1] آية ـ٣٤ـ فعند الله سبحانه علم الساعة،وجمهور المفسرين يذهب الي أن المراد بالساعة : القيامة أخذاً بظاهر الآية،والبعض يذهب الي أن المراد بالساعة : ساعة كل مخلوق حينما يحين وقت وفاته،الساعة المحددة لأجل كل امرئ والتي اختص الله وحده بعلمها، وإذا كان المولي قد اختص وحده بمعرفة ساعة الوفاة فهو سبحانه قد اختص كذلك بمعرفة مكان الوفاة كما تقرر الآية الكريمة.

﴿ وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت ﴾

وأنشد سيدى عبد العزيز الدريني رحمه الله

إذا ما ضاق صدرك من بلاد	ترَحّل طالبـــا بلـداً سواهـــا
فإنـــك واجدٌ أرضا بـأرض	ونفسك لم تجد نفســا سواهـــا
مشيناها خُطىً كُتبَت علينــا	ومن كُتبَت عليه خُطىً مشاهـــا
ومن كـــانت منيّته بـأرض	فليس يمـــوت في أرض سواهـــا

روي الترمزى وغيره أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة»

وأنشدوا :

إذا ما حمام المرء كان ببلدة	دعته إليها حاجة فيطير

وروى أن رجلا دخل علي سليمان عليه السلام فقال : يا نبى الله لى حاجة بأرض الهند، وأسألك أن تأمر الريح فتحملني إليها هذه الساعة، فرأي سليمان عليه السلام مَلك الموت عنده وهو يبتسم فقال له : مم تبتسم يا ملك الموت؟ فقال تعجبا! إنى أُمرت بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه الساعة بالهند وأنا أراه عندك .. رُوى أن الريح حملت هذا الرجل الي الهند فى تلك الساعة وهناك قبض ملك

(١) من سورة لقمان.

الموت روحه بها والله أعلم (انتهى) (١)

ومهما تقدمت دنيا العلوم فستظل عاجزة عن إدراك ألصق شئ بها .. عن معرفة ساعة الحين وميقات الوفاة..

ذلك الميقات الذي هو معروف منذ الأزل ومعلوم منذ القدم عرفه الله وحده وحدده لكل نفس

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٢)

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣) ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ (٤)

نُذُر الموت وَرُسُله :

قال القرطبي : ورد في الخبر، أن بعض الأنبياء قال لملك الموت : أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس علي حذر منك ؟ قال : نعم ، لى والله رُسُل كثيرة من الأعلال (٥) والأمراض، والشيب والهرم وتغيير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب، ناديته إذا قبضته ألم أقدم اليك رسولا بعد رسول، ونذيراً بعد نذير؟ فأنا الرسول الذي ليس بعدى رسول، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير .

وفي الحديث الشريف:«ما من يوم تطلع فيه شمسه إلا وملَك الموت ينادى:يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد ،أذهانكم حاضرة،وأعضاؤكم قوية شديدة،يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد،ويا أبناء الستين قد نسيتم العقاب وسوء الحساب»

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ . آية -٣٧ - (فاطر)

---

(١) بتصرف من مختصر التذكرة القرطبية للإمام عبد الوهاب الشعراني

(٢) آية ٣٠ من سورة سبأ

(٣) سورة الأعراف : آية ٣٤

(٤) آية ٤٣ من سورة المؤمنون.

(٥)الأعلال : الأمراض .

ذكر ابن الجوزي ووافقه الطبرى أن (النذير في هذه الآية هو الشيب)..

ومن أحسن ماقيل قول القائل :

رأيت الشيب في نُذُر المنايا ... يُذكرني بعمر لــــي قصير

تقول النفس غيّر لــون هــذا ... عساك تطيب في عُمر يسير

فقلت لها المشيب نذير عمــر ... ى ولست مُسَوِّداً وجه النذير

ويقول العلماء : موت الأهل والأقارب وغيرهم من الأحباب أبلغ في النذير في كل وقت وزمان.

سَكَرات الموت :

يقول الله تعالي : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾(1)

أى أن الموت له سَكْرة أى تحذير، والعلم الطبى الحديث يقول : أن حالة الوفاة هى حالة تحذير إذ أن كل خفقة تكون أضعف من التى سبقتها في قُدرتها علي دفع الدم فى عروق البدن، فإذا ما اضطرد ضعف ضغط الدم، خامرت المخ سكينة وراحة مرجعها الي نضوب معين نشاط البدن، وعندئذ يسترخى البدن، ويستقبل الإنسان روع أحداث الحياة.

قال تعالى :﴿ كلا إذا بلغت التراقى ...﴾ آية ـ ٢٦. (القيامة) وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ آية ـ ٩٣ ـ (الأنعام) وقال جل شأنه :﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم...﴾ آية ـ ٨٣ ـ (الواقعة)

اعلم أن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس

(1) آية ـ ١٩ سورة ق .

الروح ، وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد علي قلبه وبلغ كل موضع منه .. فهدّ كل قوة وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة ، فإن بقى فيه بعض قوة سُمع له عند نزع الروح غرغرة من حلقه وصدره وقد اصفر لونه وارتعدت (١) فرائصه،وبسطت يداه إشارة الي أنه خرج من الدنيا ولم يأخذ منها شيئا .. ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتي يبلغ بها الي الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرات والندامة ...

وقال النبيﷺ: « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وأن مفاصله ليسلم بعضها علي بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الي يوم القيامة» (١)

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : «ما أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺوكان عليه الصلاة والسلام يقول : «اللهم هون علي محمد سكرات الموت» .

قال القرطبي لتشديد الموت علي الأنبياء فائدتان : إحداهما تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم وليس ذلك نقصاً ولا عذابا، بل هو كما جاء أن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل والثانية : أن تعرف الخلق مقدار ألم الموت، وأنه باطن. وقد يطلع الإنسان علي بعض الموتى، فلا يري عليه حركة ولا قلقا، ويري سهولة خروج روحه فيظن سهولة أمر الموت، ولا يعرف ما الميت فيه،فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه، مع كرامتهم علي الله تعالي، قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقا. لأخبار الصادقين عنه ، ما خلا الشهيد قتيل

---

(١) أخرجه القشيرى في الرسالة وابو الفضل الطوسي في عيون الأخبار والديلمي من طريق ابراهيم عن هدبة، عن أنس رضي الله عنه

الكفار فإنه لا يجد ألم القتل الا كما يجد أحدكم ألم مس القرصة علي ما ثبت في الحديث الشريف (أ . هـ) .

فوائد :

فائده(١): ذكر جماعة من العلماء أن السواك يسهّل خروج الروح،واستدلوا بحديث عائشة ـ رضي الله عنهاـ في الصحيح،في قصة سواك رسول الله ﷺعند موته .

فائدة(٢): أخرج احمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال:لا يزال أحدكم حديث عهد بعمل صالح،فإنه أهون عليه حين ينزل به الموت،أو يتذكر عملا صالحا قدّمَه، ولبعضهم

لا دار للمرء بعد المـــوت يسكنهـــا ... الا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناهــــا بخير طـــاب مسكنه ... وإن بناها بشر خاب بانيهـــا
النفس ترغب في الدنيـــا وقد علمت ... أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التُقي ما دمت مجتهداً ... واعلم بأنك بعد الموت لا قيها

رُوى في الصحيحين : «يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يُقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، وكلٌ قد رآه، هذا الموت، فيُذبح» وزاد أبو يعلي في رواية عن أنس : «كما تُذبح الشاة» .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن كعب القرظي، قال : بلغني أن آخر من يموت ملك الموت، يُقال له : يا ملك الموت مت، فيصرخ عند ذلك صرخة، لو سمعها أهل السموات وأهل الأرض، لماتوا فزعا، ثم يموت.

وروي عن زياد النميري قال : قرأت في بعض الكتب أن الموت أشد علي مَلَك الموت منه علي جميع الخلق.

فائدة(٣): أخرج البيهقى في شعب الايمان - عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : سألت عائشة - رضي الله عنها - عن موت الفجأة ؟ أيكره ؟ قالت : لأي شئ يُكره ؟ سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال :«راحة للمؤمن وأخذ أسف للفاجر».

ساعة الاحتضار :

حياتك أنفاس تُعد فكلما مضى نَفَسٌ انتقصت به جزءا

وهنا في هذه اللحظة الرهيبة، وفي هذا الوقت العصيب يأتي إبليس اللعين فيتمثل أمام هذا الإنسان المحتضر ومعه شيطان آخر بصورة والديه، أحدهما يكون عن يمينه والآخر عن شماله ..

وفي حديث مرسل (١) جيد الإسناد : « أقرب ما يكون عدو الله من الانسان ساعة طلوع روحه» ..

وقد أجاب الحافظ السيوطي عن مثل هذا قائلا : «في إيتان الشيطان المحتضر الي آخره فلم يرد في السُّنه بل ورد ما يقرب منه وهو حديث أبي نعيم»

«احضروا موتاكم،ولقنوهم لا اله الا الله،وبشروهم بالجنة،فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع،وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع» .

ولهذه الفتن وغيرها شُرع تلقين المحتضر، بأن يقول له من بجواره قل : (لا إله إلا الله) لقوله ﷺ.

«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت الا أنجته من النار» روته الجماعة الا البخاري ولقوله ﷺ : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله الا الله دخل الجنة» أي مع الفائزين . رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(١) الحديث المرسل : هو ما سقط من آخر إسناده الصحابي ....

ولا يشدد عليه في التلقين مخافة أن ينطق بكلام غير لائق ويقرأ عنده سورة الرعد لأنها تسهل عليه خروج الروح، وسورة ياسين لما روي في سنن ابي داود أن النبي ﷺ قال : «اقرءوا علي موتاكم يس» .

ويُسنّ توجيه المحتضر الي القبلة مضجعا علي شقه الايمن متي أمكن ذلك، وليقل من كان عنده خيراً فإن الملائكة يحضرون في هذه الساعة،ويؤمنون علي ذلك...

فقد روي عن أم المؤمنين، أم سَلَمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون علي ما تقولون»

قالت :فلما مات أبو سَلَمة أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله : إن أبا سلمة قد مات ..

قال : «قولي : اللهم اغفر له، واعقبني منه عقبي حسنة»

فقلت : فأعقبني الله من هو خيرٌ لي منه محمداً ﷺ ، (رواه مسلم)

هذا وإن المحتضر ليشاهد الملائكة ويراهم وقد يسلمون عليه، ويرد عليهم تارة باللفظ وتارة بالإشارة، وتارة بالقلب .. وذلك عند عدم التمكن من النطق والإشارة، ثم يجلسون عنده يتحدثون، وأهل الميت وغيرهم لا يبصرون شيئا من ذلك ولا يسمعون، ومصداق هذا قوله تعالى فى سورة الواقعة :﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ ٨٣ - ٨٥ - (الواقعة)

كراهة تمنى الموت :

يُكره للإنسان أن يتمنى الموت لفقره أو مرضه أو ضرّ نزل به ويستدل على ذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا للموت فليقل : اللهم أحيني ما

كانت الحياة خيراً لي، وتوفني اذا كانت الوفاة خيراً لى» (رواه الجماعه)

فإن خاف علي نفسه الفتنة في دينه فيجوز له تمنى الموت بلا كراهية . فمما حُفظ عن رسول الله ﷺ قوله فى دعائه : « اللهم إنى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لى وترحمنى، وإذا أردت فتنة فى قومي فتوفنى غير مفتون، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرّب الي حبك »

(رواه الترمذى، وقال : حسن صحيح)

ذكر الموت والاستعداد له:

قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هادم (١) اللذات الموت» (٢)

وسُئل رسول الله ﷺ: «أي المؤمنين أكيس؟

قال : «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس» (٣)

وقال بعضهم من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء :

١- تعجيل التوبة ٢- وقناعة القلب ٣- ونشاط العبادة

ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء

١- تسويف التوبة ٢- وترك الرضا بالكفاف ٣- والتكاسل في العبادة

وقال التيمي : شيئان قطعا عنى لذة الدنيا : ذكر الموت، وذكر الوقوف بين يدى الله تعالي . وذكروا في معنى قوله تعالى: ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ (٤) أى اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الجنة بصرفها فيما يوصل إليها، ولا تنس أنك تترك جميع مالك، إلا نصيبك الذى هو الكفن ، كما قيل :

---

(١) هادم : قاطعها

(٢) رواه الترمزى وحسّنه وابن ماجه عن أبي هريرة

(٣) رواه ابن ماجه عن عمر رضى الله عنه

(٤) سورة القصص : آية ٧٧

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تُلوى فيهما وحنوط

جاء رجل الي النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، مالى لا أحب الموت؟ قال : «لك مال؟» قال نعم . قال «قدمه» (١)، فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به، وإن أخره أحب أن يتأخر معه (٢)

وكتب عمر بن عبد العزيز الي بعض أهل بيته : أما بعد، فإنك إن استشعرت ذكر الموت فى ليلك ونهارك، بُغِّض إليك كل فان، وحُبِّب إليك كل باق.

وقال الحسن رضى الله عنه : «ما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عنده، وهان عليه جميع ما فيها».

وشكت امرأة الي عائشة رضى الله عنها ـ القسوة،فقالت : «أكثرى ذكر الموت يرق قلبك» .

وقال الإمام علي رضي الله عنه:«القبر صندوق العمل، وبعد الموت يأتيك الخبر» وأخرة الديلمى عن أنس قال:قال رسول الله ﷺ:«أفضل الزهد فى الدنيا ذكر الموت،وأفضل العبادة التفكر،فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة»

وقال على كرّم الله وجهه : الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، ونظم هذا المعنى الحافظ أبو الفضل العراقى شعراً فقال :

وإنما الناس نيام من يمت ... منهم أزال الموت عنه وَسَنه (٣)

والاستعداد للموت يكون بالمبادرة الي التوبة النصوح التى فيها رد المظالم إلى أهلها، ويكون بكتابة وصيته ولا سيما إذا كان فى مرض الموت .. لقوله ﷺ : «ما حق امرئ مسلم له شئ يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده» (٤)

ويكون أيضا بالمبادرة الي العمل الصالح لقوله ﷺ «يأيها الناس توبوا الي الله

---

(١) قدمه : أنفقه فى سبيل الله، ليكون أمامه فى صحيفة أعماله.

(٢) رواه أبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٣) الوسن : النعاس

(٤) رواه الشيخان

قبل أن تموتوا..وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية تُرزقوا وتُنصروا وتؤجروا »(١)

وكان الحسن البصرى يقول : «لا تكونوا من قوم أهلكتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ليس لهم حسنة».

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «الكيّس(٢) من دان(٣) نفسه وعَمِل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»(٤)

روى جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال فى بعض خطبه: أيها الناس إن لكم نهاية فانتهوا الي نهايتكم وإن لكم معالم فانتهوا الي معالمكم وإن المؤمن بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانعٌ فيه وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه،ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت،فإن الدنيا خُلقت لكم وأنكم خُلقتم للآخرة فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دَّار إلا الجنة أو النار .

وقال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه: أيها الناس اتقوا الله الذى إن قلتم سمع، وإن أضمرتم (٥) علم، بادروا الموت الذى إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم وقال بعض المتصوفة :ـ الدنيا ساعه فاجعلها طاعة وقال بعض الصلحاء : إن بقاءك الي فناء وفناءك الي بقاء، فخذ من فنائك الذى لا يبقى للفائك الذى لا يفنى وقال بعض العلماء أى عيش يطيب، وليس للموت طبيب.

أين الملوك التى عن خطبها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

---

(١) رواه ابن ماجه عن علي بن زيد بن جدعان

(٢) الكيّس: بتشديد ياء مكسورة : العاقل .

(٣) دان نفسه : أذلها وقيل حاسبها .

(٤) رواه أبويعلى عن شداد بن أوس .

(٥) أضمرتم : أخفيتم فى قلوبكم وضمائركم.

أموالنا لذوى الميراث نجمعهـــــا ودورنا لخراب الدهر نبنيهـــــا

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت أن السلامة منها ترك ما فيهـا

وقال بعض البلغاء : كل امرئ يجرى من عمره الي غاية تنتهى اليها مدة أجله، وتنطوى عليها صحيفة عمله، فخذ من نفسك لنفسك، وقس يومك بأمسك، وكفّ عن سيئاتك وزد فى حسناتك قبل أن تستوفى مدة الأجل وتقصّر فى الزيادة عن السعى والعمل

وقال الشاعر الحكيم:

تأهب (١) للذى لابد منـــه فإن الموت ميقات العباد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغيـر زاد

وقال أخر:

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتـة وأنت على سوء من الفعل عاكف(٢)

وإياك أن تحصى من الدهر ساعة ولا لحظـة إلا وقلبك واجـــف (٣)

وبـــادر بأعمال يَسُرك أن تُـرى إذا نُشرت يوم الحساب الصحـــائف

وقال أبو العتاهية

نعى لك ظل الشباب المشيب ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعداً لريب المنـــون فـإن الذى هو آت قريـــــب

وقبلك داوى الطبيب المريض فعاش المريض ومات الطبيب

يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب؟

وقال محمد بن بشير رحمه الله تعالى:

مضى أمسك الأدنى شهيداً معدلا ويومك هذا بالفعال شهيد

---

(١) استعد للموت

(٢) عاكف : أى مقيم

(٣) واجف : أى خائف

فإن تك بالأمس اقترفت إســاءة فثنِّ بإحسـان وأنت حميد
ولا ترجُ فعل الخير منك الى غـد لعل غداً يأتي وأنت فقيد

فاستعدوا لحياة دائمة، ونعيم لا يفنى، وتذكروا قول الحق جل وعلا : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آية ـ ١٨٥ ـ(آل عمران)

مناجاة الموت:

مالك يا موت؟ تفرق بين الأحباب والأصحاب،وتباعد بين الأقرباء،وتحول بين القرناء،وتهدم اللذات،وتقطع الصلات ، وتيتم البنين والبنات،وتشتت الجماعات ..

مالك يا موت؟ لا تخاف الأباطرة والأكاسرة، ولا تخشى الملوك والقياصرة، ولا ترهب الأمراء والقادة، ولا الزعماء والسادة، تبطش بالعظيم كما تبطش بالحقير، وتفنى الشيخ الكبير كما تفنى الولد الصغير، وتهلك الكهل القوى، كما تهلك الشاب الفتى، لا ترحم مسكينا ولا فقيراً، ولا تترك عزيزاً ولا ذليلاً، ولا تدع باراً تقياً، ولا جباراً عصيا.

تنزع الولد من أمه وهو وحيدها، وقرة عينها، وفلذة كبدها.. وثمرة فؤادها، فتصبح ثكلى (١)

وتقضى على الاب وولده لا يزال فى المهد صبيا فيصير يتيما(٢) وتخطف الأم من رضيعها فيمس عجِّيا(٣)

وتفترس الوالدين وولدهما فى ريعان الطفولة، وشرخ الصبا فيصير لطيما(٤)

---

(١) الثكلى : المرأة التى فقدت ولدها

(٢) اليتيم من مات أبوه وهو صغير في الناس، وفى البهائم من قبل الأم

(٣) العجى (بفتح العين وكسر الجيم وتشديد الياء) من ماتت أمه قبل بلوغه

(٤) اللطيم : من مات أبوه وأمه قبل البلوغ .

فائدة : كل شئ مفرد يعز نظيره فهو (يتيم) يُقال : دُره يتيمه .

أنت الذى لك هيبة تخضع لها الرءوس، وتنحنى لها الظهور، ولك رهبة تخشع لها النفوس، وترجف من أجلها القلوب.

آه (١)، لا مفر منك، ولا محيص عنك، ولا مناص من سلطانك، ولا إفلات من شباكك، ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت أن لا أمسى، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أن لا أصبح، ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت أن لا اتبعها أخرى.

فأنت سُنّة الله فى خَلْقه، ولن تجد لسُنة الله تبديلا، وأنت سبيل كل حى، وغاية كل كائن ﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾،﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾،﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة ﴾ (٢)، ﴿ قُلْ إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملاقيكم ﴾

وأنت الذى قال فيك الشاعر الحكيم :

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعرى بعد الباب ما الدار

روى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما رسُول الله ﷺ يمشى إذ استقبله شاب من الانصار، فقال النبى ﷺ : كيف أصبحت يا حارثة، قال : أصبحت مؤمنا حقا. قال : انظر ما تقول؛ فإن لكل قول حقيقة، فقال : يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى، فكأننى بعرش ربى بارزاً،وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتزاورون، والى أهل النار في النار يتعاوون.

فقال ﷺ: أبصرتَ فالزم، عبدٌ نوّر الله قلبه.

لقد تهيأ وجدان هذا الشاب للإيمان الخالص، وأشرق له نور اليقين، وانشرح صدره بذلك النور. فعزفت نفسه عن محاسن الدنيا، ورأى الآخرة أقرب إليه من أن يرحل اليها. فأحسن استعداده للموت قبل نزوله به، كما قال النبى ﷺ : « إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح » قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يُعرف

---

(١) آه اسم فعل مضارع أتضجر وأتوجع

(٢) بروج مشيدة أى قصور عالية

بهـا ؟ قـال نعم ، التـجـافى عن دار الغـرور والانابة الي دار الخلود، والاسـتـعـداد للموت قبل نزوله» ... (رواه ابن جرير)

لذا نرى الشاب المؤمن، التقى النقى الطاهر، يبادر الى رسول الله ﷺ ويقول : يا رسول الله ، ادع لى بالشهادة. فدعا له رسول الله ﷺ ، فنودى يوما فى الخيل: يا خيل الله اركبى، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد .. فبلغ ذلك أمه فجاءت الى رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله ، أخبرنى عن ابنى حارثة، فإن يك فى الجنة فلن أبكى ولن أجـزع، وأن يك فى غـيـر ذلك بكيت مـاعـشت فى الدنيا، فقال ﷺ: ياأم حـارثة إنها ليست بجنة ولكنهـا جنة فى جنات وحـارثة في الفردوس الأعلى منها .

فاللهم إننا للموت مستعدون، ولقضائك وقدرك مستسلمون، وإنا إليك راغبون، ونحن من عذابك مشفقون (١)، وفى دخـول الجنة طامـعـون، ولرؤية ذاتك العليّة مولعون مشتاقون. - اللهم استجب دعانا واشف مرضانا وارحم موتانا
وجمعنا [illegible] رضاك .. امين يارب العالمين .

(١) مشفقون : أى خائفون : ومنه قوله تعالى فى سورة المعارج فى بيان صفة المصلين الحقيقيين : ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾

قالوا عن الموت

* وفاة النبى ﷺ:

وقد لقى النبىﷺ من الموت شدة، فروى البخارى فى «صحيحه» من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : كان بين يدى رسول الله ﷺ ركوة أو علبة فيه ماء، فجعل يدخل يده فى الماء، فيمسح بها وجهه ويقول «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات» .

وفى صحيح البخارى من حديث أنس رضى الله عنه قال : لما ثقل النبى ﷺ : جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضى الله عنها : واكرب أبتاه ! فقال لها : «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» .

فتوفى رسول الله ﷺ مستنداً الى صدر عائشة رضى الله عنها فى كساء ملبد، وإزار غليظ، وقامت فاطمة رضى الله عنها تبكى وتقول : يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه! الى جبريل ننعاه، يا أبتاه ! من ربه ما أدناه، فلما دُفن قالت : يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ وقال أبو بكر الصديق :

لما رأيت نبينا متجدلا ... ضاقت علىّ بعرضهن الدور

وارتعت روعة مستهام والـه ... والعظم منى واهن مكسور

أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى ... وبقيت منفرداً وأنت حسير

يا ليتنى من قبل مهلك صاحبى ... غيبْتُ فى جدث علىّ صخور

******

* وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

قيل لما احتضر جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر(١)

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولى :

﴿ وجاءت سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

انظروا ثوبى هذين، فاغسلوهما وكفنونى فيهما فإن الحى أحوج الى الجديد من الميت .

وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عن ابن عمر قال : كان رأس عمر فى حجْرى بعد ما طعن، وكان مرضه الذى توفى فيه، فقال : ضع خدى على الارض، فقلت : وما عليك إن كان فى حجرى أم على الارض؟ وظننت أن ذلك تبرم به، فلم أفعل، فقال : ضع خدى على الارض لا أمّ لك، ويلى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى .

ثم قال : يا عبد الله بن عمر، انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل : عمر يقرأ عليك السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن عند صاحبيه، فمضى وسلم واستأذن عليها، ثم دخل فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : عمر يقرأ عليك السلام، ويستأذن أن يدفن عند صاحبيه، فقالت كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه اليوم على نفسى، فقال : ما وراءك؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال الحمد لله، ما كان شئ أحب الى من ذلك، فإذا أنا مت فاحملونى، ثم سلّم، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت،

(١) الحشرجة : الغرغرة عند الموت وتردد النفس. والفاعل محذوف أى الروح، ولم يُذكر لدلالة الكلام عليه، ومنه قوله تعالى [وبلغت الحلقوم] أى بلغت الروح الحلقوم

(٢) ق : آية ١٩

فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى الى مقابر المسلمين .

وفى إفراد مسلم من حديث المسور بن مخرمة، أن عنر قال : والله لو أن لى طلاع الارض ذهبا (١) ، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه. وفى خبر آخر : والله لو أن لى ما طلعت عليه الشمس أو غربت، لافتديت به هول المطلع .

* وفاة عثمان بن عفان رضى الله عنه :

عن نائلة بنت الغرافصة امرأة عثمان رضى الله عنه، قالت لما كان اليوم الذى قُتل فيه عثمان، ظل فى اليوم الذى قبله صائما، فلما كان عند إفطاره، سألهم الماء العذب فلم يعطوه،فنام ولم يفطر، فلما كان وقت السحر أتيت جارات لى على أجاجير متصلة، فسألتهم الماء العذب،فأعطونى كوزاً من ماء، فأتيته فحركته فاستيقظ،فقلت : هذا ماء عذب،فرفع رأسه فنظر الى الفجر فقال: إنى قد أصبحت صائما ،وإن رسول الله ﷺ اطلع علىَّ من هذا السقف ومعه ماء عذب فقال : «اشرب ياعثمان فشربت حتى رويت،ثم قال :. ازدد فشربت حتى نهلت، ثم قال : «إن القوم سينكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا » قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

* وفاة علّى بن أبى طالب رضى الله عنه :

عن الشعبي قال: لما ضُرب علىّ رضي الله عنه تلك الضربة، قال: ما فُعِل بضاربي؟ قالوا: أخذناه، قال: أطعموه من طعامى،واسقوه من شرابى، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيى، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها، ثم أوصي الحسن أن يغسله وقال: لا تغالي في الكفن، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول .

(١) طلاع الشئ : ملؤه . قال أوس بن حجر يصف قوسا :

كتوم طلاع الكف لا دون ملئها ... ولاعجنها من موضع الكف أفضلا

«لا تغالوا في الكفن فإنه يُسلب سلبا سريعا» ، امشوا بي المشيتين لا تسرعوا بي، ولا تبطئوا، فإن كان خيراً عجلتموني إليه، وإن كان شراً ألقيتموني عن أكتافكم.

وروى أنه لما كانت الليلة التى أُصيب فيها عليّ رضي الله عنه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة فقام يمشي وهو يقول :

اشدد حياز يمك للموت   فإن الموت لاقيك (١)

ولا تجزع من المـــوت   وإن حَلّ بواديـــــك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه. وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم إذ شهق شهقة بعدها أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده فأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال: هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم، وهذا أخي جعفر وعمي حمزه، وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون عليّ يبشرونني بالجنة، وهذه فاطمة قد أحاط بها وصفاؤها من الحور العين وهذه منازلي؛ لمثل هذا فليعمل العاملون.

* * *

---

(١) قال المبرد في الكامل بعد إنشاده:والشعر إنما يصح بأن تحذف «اشدد» فتقول:

حياز يمك للموت   فإن الموت لاقيك

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما يليه المعنى، ولا يعتدون به في الوزن، والحيزوم: ما اشتمل عليه الصدر ، وجمعه حيازيم، ويقال للرجل: اشدد حيازيمك لهذا الأمر: أى وطن نفسك عليه.

* عمرو بن العاص عند الموت :

لما حضرت الوفاة عمرو بن العاص(١) رضي الله عنه قال له ابنه عبد الله: يا أبت إنك كنت تقول: عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه؟ فصف لنا الموت، فقال : «والله يا بنى كأن جنبي في جب نار، وكأنى أتنفس من سم إبرة (أى ثقب إبرة)، وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلي هامتى ثم انشد يقول :

ليتنى كنت قبل ما بدا لي   فى فلال الجبال أرعى الوعولا

ثم قال : «فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار، فإذا دفنتمونى فشنوا علي التراب شنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تُنحر جزور ويُقسم لحمها حتى أستأنس بكم، وأعلم ما أراجع به رسل ربى (٢)

* بلال رضي الله عنه فى مرض الموت:

لما حضرت بلالا رضي الله عنه الوفاه قالت امرأته : واحزناه فقال لها بلال: واطرباه .. غدا ألقى الأحبة، محمداً ﷺوحزبه.

* عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عند وفاته:

قال رجاء بن حيوه دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء إنى أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلّب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال : اللهم انت ربي امرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت فإن غفرت فقد مننت وإن

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي كان أسن من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم طال به العمر بعد عمر رضي الله عنه، وكان مولده فى سنة ٥٧٥ م ووفاته فى سنة ٦٦٣م، عاش ٨٨ سنة شمسية وأكثر من ٩٠ سنة قمرية وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ بمصر حين كان واليا عليها، وهو القائد العربي العظيم فاتح مصر ومؤسس مدينة الفسطاط وبانى الجامع المعروف باسمه ويعد أقدم مسجد فى أفريقيا كلها . وأحد دُهاة العرب ، ومن اصحاب رسول الله ﷺ

(٢) رواه مسلم وأنظر ص ١٣٦ ج ٣ نووى .

عاقبت فما ظلمت إلا أنى أشهد أنه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فعليه السلام والرحمة . ثم قضى نحبه .

وقال رجاء أيضا، فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نوراً ساطعاً فحمدت الله تعالى أن قد صار إلى خير .

* الحجاج (١) فى سكرات الموت :

لما حضرت الوفاة الحجاج بن يوسف الثقفى وأيقن بالموت قال : أسندونى، وأذن للناس بالدخول عليه فدخلوا، فتذكر الموت وكربه، واللحد ووحشته، والدنيا وزوالها، والآخرة وأهوالها، وكثرة ذنوبه، وكان ممن دخلوا عليه أبو المفذر (يَعْلى بن مَخْلَد) فقال : كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته؟ قال : «يا يعلى غما شديداً، وجهداً جهيداً(٢) وألما مضيضاً (٣) ونزعاً جريضاً(٤) وزاداً قليلاً، فويلى، ويلى إن لم يرحمنى الجبار فقال له: يا حجاج إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء، أولى الرحمة والرأفة والعطف على عباده وخلقه أشهد أنك قرين فرعون وهامان(٥) لسوء سيرتك .. وترك ملتك .. وتنكبك (٦) عن قصد الحق وسنن(٧) المحجه(٨)، وآثار الصالحين، قتلت صالحى الناس فأفنيتهم وأبرت(٩) عشرة التابعين

(١) الحجاج بن يوسف الثقفى أحد حكام العرب، ولد بالطائف سنة ٤١ هـ وكان واليا لعبد الملك بن مروان ثم لابنه الوليد ، مات سنة ٩٥ هـ

(٢) تعباً شديداً

(٣) مضيضاً : أى شاقاً.

(٤) جريضا : أى نزعا لا يستطيع معه ابتلاع الريق .

(٥) هامان : هو وزير فرعون موسى عليه السلام . وكان وزير سوء .

(٦) التنكب: الميل والبعد والمعنى أنه كان يميل عن طريق الحق.

(٧) السنن : الطريق

(٨) المحجة: وسط الطريق رأى أنه لا يسير فى الطريق المستقيم.

(٩) أهلكت، والعتره (بكسر العين) : النسل والذرية.

فتبرتهم، وأطعت المخلوق في معصية الخالق، وهرقت الدماء(١) وهتكت الأستار، وسُسْت سياسة متكبر جبار.

*** الشافعي في مرض الموت:**

قال المزني(٢) دخلت على الإمام الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: أصبحت عن الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، ولكأس المنية شارباً، وعلى ربي وارداً، ولا أدري روحي صائرة إلى الجنة فأهنيها، أو الي النار فأعزيها، ثم أنشد يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت مني لعفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منّةً وتكرُما

*** السيدة نفيسة رضي الله عنها في مرض الموت:**

ولما اشتد مرض الموت بالسيدة نفيسة (٣) رضي الله عنها وهي صائمة أشار عليها الأطباء بالافطار للضعف الذي أصابها فقالت: واعجبا.. لي ثلاثون سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة، فهل أفطر الآن؟ معاذ الله هذا لا يكون ثم أنشدت تقول :

اصرفوا عنى طبيبى ... ودعونى وحبيبى

---

(١) هرقت: أي أسلت، أي أرقت

(٢) اسماعيل بن يحي المزني المصري (١٧٥ - ٢٦٤ هـ) صاحب الشافعي وهو الذي نشر مذهبه بمصر.

(٣) هي السيدة نفيسه بنت حسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه .. ولدت بمكة عام ١٤٥ هـ، وكانت تقية عابدة حجت ثلاثين حجه، وكانت زاهدة، كثيرة البكاء، تحفظ القرآن، وتجيد تفسيره وتتلوه حق تلاوته .. قدمت مصر في شهر رمضان سنة ١٩٣ هـ فتلقاها أهلها بالترحاب والتكريم ثم وهبها أميرها إذ ذاك (السري بن الحكم) المكان الذي دفنت فيه .. سمع عليها الإمام الشافعي الحديث، ولما توفي رحمه الله أدخلت عليها جنازته، فصلت عليها في دارها، وقد انتقلت إلى جوار ربها في شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ وقبرها في القاهرة مشهور.

زادبى شوقى إليــــه وغرامى فى لهيبى

جسدى راض بسقمى وجفـــونى بنحيبى

ثم ابتدأت تقرأ فى سورة الأنعام فلما وصلت إلى قوله تعالى ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . آية ـ ١٢٧ـ خرجت روحها إلى بارئها، وإلى ما أعده الله لها من التكريم فى دار الكرامة والتنعيم. وما أحسن قول بعضهم فى خروج روحها الطاهرة:

روح دعاها للوصال حبيبهـا فأتت إليه مطيعة ومجيبـه

يا مُدّعى صدق المحبة هكذا صدق المحب إذا دعاه حبيبه

* * *

علامات حُسن الخاتمة وسوئها

حُسن الخاتمة هو الموت على الايمان الموجب للخلود فى الجنان ولحُسن الخاتمة وجميل العاقبة علامات كثيرة منها أن النبى ﷺ قال : «إذا أراد الله بعبد خيراً، استعمله. قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه بعمل صالح قبل الموت»(١) وأخرج احمد والحاكم عن عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أحَّب الله عبداً عسَّله. قالوا: وما عسَّله؟ قال : يُوفق له عملا صالحا بين يدى أجله حتى يرضى عنه جيرانه.

وأخرج ابن أبى الدنيا عن عائشة - رضى الله عنها - مرفوعا: « إذا أراد الله بعبد خيراً، بعث إليه قبل موته بعام ملكاً، يسدده ويوفقه، حتى يموت على خير أحايينه، فيقول الناس: مات فلان علي خير أحايينه(٢)، فإذا حُضر ورأى ما أعَدّ الله له جعل يتهوع(٣) نفسه من الحرص على أن تخرج، فهناك أحب لقاء الله، وأحب الله

---

(١) رواه الترمزى والحاكم عن أنس رضى الله عنه

(٢) الأحايين : الأوقات

(٣) يتهوع : يستدعى

لقاءه. وإذا أراد الله بعبد شراً قيّض له قبل موته بعام شيطانا يضله ويغويه، حتى يموت على شر أحايينه، فيقول الناس: قد مات فلان على شر أحايينه، فإذا حُضر ورأى ما أعدّ له، جعل يتبلّع[1] نفسه كراهية أن تخرج، فهناك كره لقاء الله، وكره الله لقاءه. قال صاحب الافصاح فى معنى هذا الحديث : إعلم أن خروج الروح عند دعاء مَلَك الموت له من جنس دعُاء الحاوى الحَيّة من جُحْرها[2]، وخروج الجسمين عند الدعاء على حد سواء؛ فأما المؤمن، فيهوع نفسه، أى يستدعى إخراجها، إذ التهوع إنما هو استدعاء القئ للبروز؛ وأما الكافر فيتبلعُ روحه، والتبلُّع رد الجسم الذى فى الفم، أو يريد الرجوع إلى الجوف

(انتهى)

والفائدة المرجوّة من هذا الحديث أنه إذا أراد الله لعبده حُسن الخاتمة، وكتب له الفلاح فى الدنيا والآخرة، وفقه - قبل دنّو أجله للأعمال الصالحة، فيتحدث الناس عنه بالخير، ويثنون عليه الثناء الحسن قبل موته وإن كان الميت غير ذلك فهو غير ذلك والله أعلم .

روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: مرُّوا (أى الصحابة)بجنازه فأثنوا عليها خيرا فقال النبى ﷺ:وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت . فقال عمر بن الخطاب، ما وجبت؟

قال النبى ﷺ : «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة،وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار،أنتم شهداء الله فى الأرض»والمعتبر شهادة أهل الفضل والصدق لا أهل الفسوق والفجور،ولا من كانت بينه وبين الميت عداوه،لأن شهادة العدو لاتقبل

ومن علامات حُسن الخاتمة أن يموت الإنسان وهو يُحسن الظن بربه، ويغلب الرجاء على الخوف فى مرض موته، ويطمع فى رحمة الله وعفوه ومغفرته وهو أكرم

(١) يتبلع نفسه: يردها.

(٢) جُحرْها : وكرها الذى تحفره لنفسها.

الأكرمين، وأرحم الراحمين، يعفو عن السيئات، ويقيل العثرات، ويمحو الخطايا،

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قبل وفاته بثلاث[1] : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله» ورواه ابن أبى الدنيا، فى كتاب حُسْن الظن، وزاد: «فإن قوما قد أرداهم[2] سوء ظنهم بالله، فقال تبارك وتعالى لهم : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [3]

وروى احمد والترمذى وابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ، دخل على شاب وهو فى الموت، قال : «كيف تجدك؟ قال: أرجو الله، وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ : «لا يجتمعان فى قلب عبد، فى مثل الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجوه، وأمَّنه مما يخاف» .

قال أبو غالب صاحب أبى أمامه فيما رواه ابن أبى الدنيا، والبيهيقى فى شعب الإيمان: كنت بالشام، فنزلت على رجل من قيس، من خيار الناس، وله ابن أخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه، فمرض الفتى، فبعث إلى عمه، فأبى أن يأتيه، فأتيته أنا به، حتى أدخلتُه عليه، فأقبل عليه يشتمه ويقول : أى عدو الله، ألم تفعل كذا؟ قال : أرأيت - أى عم - لو أن الله دفعنى إلى والدتى، ما كانت صانعة بى؟ قال: كانت والله تدخلك الجنة، قال : فوالله، لله أرحم بى من والدتى، فقُبض الفتى، ودفنه عمه، فلما سَوّى اللَّبن [4] سقطت منه لبنه، فوثب عمه فتأخر. قلتَ : ما شأنك؟ قال : مُلء قبره نوراً، وفسح له مدّ البصر.

وقال حميد فيما يرويه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان: كان لى ابن أخت مرهق، فمرض، فأرسلت إلى أمه، فأتيتها، فإذا هى عند رأسه تبكى، فقال : يا خال ما يُبكيها؟ قلت : ما تعلم منك، قال: أليس إنما ترحمنى؟ قلت بلى قال : فإن

---

(١) أى بثلاث ليال

(٢) أوقعهم فى هلكه

(٣) سورة فصلت : الآية ٢٣

(٤) اللَّبن : جمع لبنة، وهو الطوب (النيئ) الذى يُبنى به

الله أرحم بى منها، فلما مات، أنزلته القبر مع غيرى ، فذهبت أسَّوى لبنة، فاطلعت فى اللحد ، فإذا هو مَّد بصرى ، فقلت لصاحبى : وأنت مارأيتَ ما رأيتُ ؟ قال : نعم فليهنك (١) ذاك ، قال : فظننت أنه بالكلمة التى قالها (٢)

ودخل واثلة بن الأسقع رضى الله عنه على مريض فقال: أخبرنى كيف ظنك بالله؟قال:أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على الهلكه (الهلاك)ولكنى أرجو رحمة ربى.

فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره، وقال : الله أكبر. سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل فى حديثه القدسى : «أنا عند ظن عبدى فلا يظن بى إلا خيراً».

ومن علامات حُسن الخاتمة أيضا أن يبتسم الميت عند خروج روحه لما يراه من بشائر الرحمة التى تدفع عنه الفتَّان، وكالنعيم الذى يراه مُعَّداً له فى جنة الخلد والرضوان، كما حصل لعبد الله بن المبارك (٣) فإنه لما شارف الموت فتح عينيه وضَحِك، وقال : «لمثل هذا فليعمل العاملون».

ومنها أن يعرق جبينه فقد صح مرفوعا « المؤمن يموت بعرق الجبين » لما يعتريه من شدة الحياء لنحو تذكره ما سلف من تقصيره.

ومنها أن يظهر عليه نور ساطع ولو على بعض أعضائه كما حدَّث الشيخ أبو صالح المؤذن قال: مرض الشيخ أبو محمد الجوينى(٤) سبعة عشر يوما، وأوصانى أن أتولى غسله وتجهيزه، فلما توفى غسلته، فلما لففته فى كفنه رأيت يده اليمنى إلى

---

(١) فليهنك : من التهنئة وهى ضد التعزية

(٢) أى أنه رأى أ ما وصل إليه من هذه المكانة الطيبة، إنما كان بسبب إيمانه وثقته بالله، تلك الثقة التى عَّبر عنها بقوله: «فإن الله أرحم بى منها»

(٣) هو عبد الله بن المبارك التميمى المروزى من أتباع التابعين، وأحد الأئمة الأربعة (سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك)وكان ثقة عالما متثبتا صحيح الحديث. ولد سنة ١١٨هـ ومات منصرفا من الجهاد فى رمضان بهيت سنة ١٨١هـ وله ثلاث وستون سنة. وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان ولكنه أعتقه وزوجه بنته فولدت عبد الله هذا. وكان عابدا زاهدا سخيا شجاعا وشاعرا .

(٤) ولم يكن أحدٌ أطلب منه للعلم في زمنه كما قال عنه الإمام أحمد .

الإبط زهراء منيرة من غير سوء، وهى تتلألأ تلألؤ القمر، فتحيرت وقلت فى نفسي: هذه بركات فتاويه.

أما الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة،كما قال بعض العلماء فهى - والعياذ بالله - أربعة : التهاون بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وأذى المسلمين.

ومن علامات سوء الخاتمة أيضا: اسوداد الوجه، وزرقة العينين، ونتن الرائحة، وتغيّر صورته عند الموت، وتحدث الناس عنه بالشر.

وينبغى أن نعلم أن علامات حسن الخاتمة وسوئتها إنما هى علامات ظنية وليست بقطعيه ونحن نسترشد بها والله أعلم.

وفقنا الله وإياك إلى حُسْن الخاتمة، وأن يجعلنا من أهل السعادة فى الدنيا والآخرة والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ..

* * * *

الفصل الثانى

القبر منزل للجميع

الموت كأسٌ وكل الناس شاربه   والقبر بابٌ وكل الناس داخله

القبر هو الرمس .. آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة

القبر باب الحياة البرزخية، وهو

إمّا روضة من رياض الجنة أو حُفرة من حفر النار.

إنه محط الرحال ومنزل الجميع ..فى هذا الشق من الأرض مثوى بنى الإنسان ..

من التراب كانوا .. وإلى التراب ساروا .. وصاروا ..

رُبّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً   ضاحكٌ من تزاحـم الأضداد

ودفين على بقايـــا دفين   فى طويل الأزمان والآباد (١)

لحد فى باطن الأرض وهو الجدث الذى يضم الرفات لكائن كان من قبل ملء السمع والبصر .. كان العقل المفكر المدبر، واليد العاملة المنتجة، والصوت المدوّى. يفرض سلطانه وسطوته فى دنيا البشرية وسرعان ما سكنت أنفاسه، وسكنت حركاته، وغاب فى أعماق الأبدية فى هذا الشق من الأرض تحت حبيبات الرمل وذرات التراب قال :

ما للمقابر لا تجيب إذا دعاهن الكئيب

حُفرٌ مسقّفة عليهن الجنادل(١) والكثيب

فيهن ولدان وأطفال وشبان وشيب

---

(١) الصخور الصماء الصلبة

كم من حبيب لم تكن نفسى بفرقته تطيب (١)

غادرته فى بعضهن مجندلا(٢) وهو الحبيب

وسلوت عنه وإنما * عهدى برؤيته قريب

القبر كما وصفه القرآن هو بعض مظاهر تكريم الله للإنسان . قال تعالى فى سورة عبس: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ آية ـ ١٨ ـ ٢١ ـ (عبس)

فجعلت القبر مما أكرم الله به ابن آدم.

وتحدث القرآن عن قصة أول قبر كان، عندما اعتدى قابيل على هابيل، وارتكب أول جريمة بشرية فى دنيا الإنسان، جريمة إزهاق الروح وقتل النفس.

ولما قتل قابيل هابيل، ورآه أمامه جثة هامدة .. أسقط فى يده، فلم يكن هناك قتل من قبل، ولم يكن هناك دفن أو قبر .. ولم يدر ماذا يفعل؟! وعلى مرأى منه أرسل الله غرابين يقتتلان، فقتل أحدهما الآخر، ثم حفر له حفرة فى الارض فواراه فيها .. وفعل قابيل بجثة أخيه ما فعل الغراب القاتل بجثة الغراب القتيل..

عن ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ واتلُ عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتُقُبل من أحدهما ولم يُتَقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوّعت له نفسه قتل أخيه، فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليُريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين ﴾ آية ـ ٢٧ـ ٣١ ـ (المائدة)

قيل : كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقعد إلى القبور فقيل له فى ذلك فقال :

(١) تطيب : تسمح

(٢) مجندلا : مقتولا معفراً فى التراب

أجلس إلى قوم يذكّروننى معادى، وإن غبت لم يغتابونى.

وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة، فلما نظر إلى القبور بكى، ثم أقبل على فقال : يا ميمون، هذه قبور آبائى بنى أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المَثُلات، واستحكم فيهم البلاء، وأصاب القوم مقيلا فى أبدانهم؟ ثم بكىٰ وقال: والله ما أعلم أحداً ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن من عذاب الله تعالى.

ولما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفّين وأشرف على القبور قال: «يأهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يأهل التربة، ياأهل الغربة، يأهل الوحشة أنتم فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق.

أما الدور فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد نُكحت، وأما الأموال فقد قُسِّمت، هذا خبر ما عندنا، فما هو خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلي أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوي.

وقال عبد الله بن عمرو: إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه يقول: يابن آدم ما غرك بي، ألم تعلم أني بيت الوحدة - ألم تعلم أني بيت الظلمة، وكنت تمشي حولي فداداً، فإن كان مؤمنا، فذاك يوسع له في قبره، ويجعله منزلة خضراء، ويعرج بنفسه إلي الله تعالي.

رؤي علي قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله مكتوب:

الموت بحر موجه غـــالب	يذهب فيه حبله الســـابح
لا يصحب المرء إلي قبره	إلا التُقى والعمل الصالح

وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين:

فاعمل علي مهــل فإنـــك ميت	واكدح لنفسك أيها الإنسان
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضي	وكأن ما هو كائن قد كـــان

ونظر سليمان بن عبد الملك يوما في المرآة فقال : أنا الملك الشاب فقالت له جارية له:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقي   غير أن لا بقـاء للإنسـان

ليس فيما بدالنا منك عيب   كان في الناس غير أنك فاني

وقال العلاء بن المسيِّب : ليس قبل الموت شئ إلا والموت أشد منه. وليس بعد الموت شئ إلا والموت أيسر منه.

وقال أبو محرز الطفاوي: كفتك القبور مواعظ الأمم السالفة وقيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظات؟ قال: النظر إلي محلة الأموات، فأخذه أبو العتاهية فقال:

وعظتك أجداثٌ صُمْت(١)   ونعتـك أزمنـة خُفُتْ

وتكلـمت عن أوجـه   تبلي وعن صور سُبُتْ(٢)

وأرتك قبرك في الحيـا   ة وأنت حـي لم تمت

يـا شـامتا بمنيتي   إن المنيـة لم تفت

فلربمـا أنقلب الشما   ت فحل بالقوم الشُّمُتْ

ووجد علي قبر مكتوب(٣): قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة - وعلي آخر: من أمَّل البقاء وقد رأي مصارعنا فهو مغرور.

ولما مات الأسكندر قال بعض الحكماء: «كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس».

* * *

(١) أجداث صمت ـ مقابر موحشة لا تنطق .
(٢) صور سبت ـ مقطوعة متفرقة .
(٣) في التمدن ـ (على قبر مكتوب) .

زيارة القبور

تُسنّ زيارة قبور المسلمين للرجال لأجل تذكر الموت والآخرة وإصلاح فساد القلب ونفع الميت بما يُتلي عنده من القرآن لخبر مسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» ولقوله عليه الصلاة والسلام «اطلع في القبور واعتبر بالمنشور» خصوصا قبور الأنبياء والأولياء وأهل الصلاح، وتُكره من النساء لجزعهن وقلة صبرهن، ومحل الكراهة إن لم يشتمل اجتماعهن علي محرم وإلا حرم، ويُندب لهن زيارة قبره صلي الله عليه وسلم وكذا قبور سائر الأنبياء والعلماء والأولياء، وتتأكد يوم العيد ومن عشية خميس إلي طلوع شمس سبت. ويُكره المبيت بها لما فيه من الوحشة وكذا المشي والجلوس عليها، ويحرم البول والغائط وإلقاء النجاسة عليها. ويُسنّ أن يكون الزائر متوضئاً، وأن يقول عند دخوله: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويقرأ ما تيسر من القرآن لأن القراءة تنفع الميت في ثلاثة مواضع: إذا قرئ في حضرته أو في غيبته ودعا له عقبها أو قصده بها وإن لم يدع له. ويُسنّ قراءة الإخلاص إحدي عشرة مرة، وأن يقول: اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلي فلان أو الموتي، وورد من قرأ آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله عليهم في كل قبر من المشرق إلي المغرب أربعين نوراً ووسع عليهم مضاجعهم»، وأن يتصدق عليهم فينفعهم ذلك ويصل ثوابه إليهم، وأن يقرب من مزوره كقربه منه حيا، ويسلم عليه مستقبلا وجهه لقوله صلي الله عليه وسلم «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» ثم يتوجه إلي القبلة فيدعو له بنحو: اللهم رب هذه الأجساد البالية، والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما مني، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم. والدعاء ينفع لدفع العذاب ورفع الدرجات

وقال ﷺ : «ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار».

وقد حكي أن امرأة جاءت إلي الحسن البصري رحمه الله فقالت: إن ابنتي ماتت وقد أحببت أن أراها في المنام، فعلمني صلاة أصليها لعلي أراها فعلمها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل في عنقها والقيد في رجلها فارتاعت لذلك فأعلمت الحسن عليها، فلم تمض مدة حتي رآها الحسن في المنام وهي في الجنة علي سرير وعلي رأسها تاج - فقالت له يا شيخ: أما تعرفني؟ قال: لا. قالت له: أنا تلك المرأة التي علمت أمي الصلاة فرأتني في المنام، قال لها: فما سبب أمرك؟ قالت: مرّ بمقبرتنا رجل فصلى علي النبي ﷺ وكان في المقبرة خمسمائه وستون إنسانا في العذاب فنودي: ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل علي النبي ﷺ . ويُندب وضع الجريد والريحان علي القبور كما جرت العادة لأنه يستغفر للميت مادام رطبا لما رواي «أن النبي ﷺ شق الجريدة نصفين ثم غرس علي قبر نصفا وعلي قبر نصفا وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه الشيخان.

ومنه يُعلم أن قراءة القرآن تنفع الميت، لأنه إذا وصل النفع إليه بسببهما حال رطوبتهما فانتفاعه بقراءة القرآن من الرجل المؤمن من باب أولي [1]

وجاء في إحياء علوم الدين [2] في بيان حال القبر،«أول منازل الآخرة»كما قال ﷺ، وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك، فما أعددت لي؟ ويُري أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلي جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت:

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية　　　لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت

---

(١) أنتهت عبارات الشيخ الكردي رحمه الله تعالي ونفعنا به وبعلومه.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي صـ٢١٦ .

وقد أنشدوا في أهل القبور:

قف بالقبور وقل علي ساحاتها — من منكم المغمور في ظلماتها

ومن المكرم منكم في قعرهــــا — قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لذي العيون فواحد — لا يستبين الفضل في درجاتها

لوجــاوبوك لأخـبــروك بألسن — تصف الحقائق بعد من حالاتهـا

أما المطيع فنـــازل في روضة — يفضي إلي ما شاء من دوحاتها

والمجرم الطاغي بهـــا متقلب — في حفرة يــأوي إلي حيّـــاتها

وعقارب تسعي إليـــه فروحه — في شدة التعذيب من لدغاتهـا

* * * *

الصبر علي المصيبة

اعلم أن من حُسن التوفيق، وأمارات السعادة، الصبر على الملمات، والرفق عند النوازل، وبه نزل الكتاب وجاءت السُّنة قال الله تعالي: «وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾»

فقد بشّر الله الصابرين علي بلائه، الراضين بقضائه، الراجعين إليه عند صدمة المصيبة وحين نزولها ببشارتين عظيمتين:

١- صلواته وهي غفرانه.

٢- ورحمته وهي إحسانه ثم زادهم الهداية

علاوة علي البشارتين، فنعمت البشارتان، ونعمت العلاوة .

وروي الإمام مالك في موطئه عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: كما أمره الله تعالي :﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ اللهم أجرني في مصيبتي، وأعقبني خيرا منها الا فعل الله تعالي ذلك به» فقالت أم سلمة رضي الله عنها: لما توفي أبو سلمة قلته ثم قلت: ومن لي مثل أبي سلمة؟ فأعقبها الله تعالي برسوله ﷺ فتزوجها.

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : عجبا لأمر المؤمن إن أمره له كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالي إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله

---

(١) سورة البقرة : آيات ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

الرضا ومن سخط فله السخط»(١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من شئ يصيب المؤمن من نصب ولا حَزَن، ولا وصب حتي الهم يهمه (٢) إلا يكفِّر الله عنه به سيئاته» رواه ابن أبي الدنيا والترمذي وقال حديث حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله عنه بها، حتي الشوكة يشاكها» رواه البخاري ومسلم.

وروي في الخبر عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب».

وفي لفظ ابن ماجه، فليتعز بمصيبته بي، فإن أحداً من أمتي لن يُصاب بمصيبته بعد أشد عليه من مصيبتي، ولله در ابي العتاهية حيث يقول:

اصبر لكل مصيبة وتجلدٌ ... واعلم بأن المرء غير مخلّد
وإذا ذكرت مصيبة تسلو بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

فينبغي لمن نزلت به مصيبة أن يصبر عليها، ويحتسب أجره عند الله تعالي، ويطلب منه الخلف، ويحمده علي السراء والضراء، ويقابل ما نزل به بالرضا والتسليم واعلم أن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مستأصل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان، وقال بعض الحكماء: بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور وقال بعض البلغاء: عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج وأنشد بعض الأدباء لعثمان بن عفان رضي الله عنه:

خليلي لا والله ما من ملمة ... تدوم علي حي وإن هي جلّت
فإن نزلت يوما فلا تخضعن لها ... ولا تكثر الشكوي إذا الفعل زلت

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب
(٢) يدركه الغم والكدر ولم يظهر ضجره لمخلوق مثله.

فكم من كريـــم قد بُلي بنوائب   فصـــابرها حتي مضت واضمحلت
وكانت علي الأيـام نفس عزيزة   فلمـــا رأت صبري علي الذل ذلت
فقلت لهـــا يا نفس موتي كريمة   فقد كانت الدنيـــا لنـــا ثم ولت

قال الله تعالي: ﴿فاصبر صبراً جميلا﴾ (١) أي الصبر الذي لا شكوي فيـه ولابث. روي أنس بن مـــالك أن النبي ﷺ قـال: مـا صبـر من بث وحكي كـعب الأحبـار أنه مكتوب في التوراة: من أصابته مصيبة فشكا إلي الناس فإنما يشكو ربه، وحُكي أن أعرابية دخلت من البادية فسمعت صراخا في دار فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون، وعن ثوابه يرغبون. قال ابن المبارك: المصيبة واحدة فإذا جزع صاحبها صارت اثنتين. إحداهما المصيبة والثانية ذهاب أجر المصيبة وهو أعظم من المصيبة.

روي الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا ابتليت عـبدي المؤمن فلم يشكني إلي عـواده أطلقتـه من إساري، ثم أبْدلتـه لحمـا خيـراً من لحمه، ودما خيراً من دمه ثم يستأنف العمل» (٢)

وروي عن علي بن أبي طالب كـرم الله وجهـه عن رسول الله ﷺ أنه قـال: «من اشتـاق إلي الجنة سارع إلي الخيـرات، ومن أشـفق من النار لها عن الشـهوات، ومن راقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب»

وما أحسن قول القائل:

إذا بُليت فثـق بالله وارض به   إن الذي يكشف البلوي هو الله
إذا قضي الله فاستسلم لقدرته   مالامرئ حيلة فيمـــا قضي الله
اليأس يقطع أحيانـــا بصاحبه   لا تيـــأس فإن الصـــانع الله

وعـن أبي هريرة رضي الله عنه أن رســـول الله ﷺ قـال «يقـول الله تعـالي: مـا

---

(١) سورة المعارج

(٢) قال الحاكم صحيح علي شرط البخاري ومسلم

لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه (أي روح صفيه كالولد والأخ وكل من أحبه الإنسان من أهل الدنيا) ثم احتسبه إلا الجنة» (رواه البخاري)

وأعلم أنه قلّ من صبر علي حادثه، وتماسك في نكبه إلا كان انكشافها وشيكا، وكان الفرج منه قريبا.

رُوي أن أبا أيوب الكاتب حُبس في السجن خمس عشرة سنة حتي ضاقت حيلته، وقلّ صبره، فكتب إلي بعض إخوانه يشكو له طول حبسه فرد عليه جواب فيه هذه الأبيات:

صبراً أبـــا أيوب صبر مبرّح فإذا عجزت عن الخطوب فمن لها ؟
إن الذي عقد الذي انعقدت له عقد المكاره فيــك يملك حلهـــــا
صبراً فإن الصبر يعقب راحـــة ولعلهـــا أن تنجلي ولعلهـــا

فأجابه أبو أيوب يقول:

صبّرتني ووعظتني وأنـا لهـا وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها كرمـابه إذ كان يملك حلهـا

فلم يلبث بعد ذلك في السجن إلا أياما حتي أُطلق مكرما

وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم :

إذا اشتملت علي اليأس القلوب وضاق لمـا به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمــــأنت وأرست في مكانتها الخطوب
ولم ير لانكشاف الضر وجهـا ولا أغني بحيلتــه الأريب
أتـــاك علي قنوط منك غوث يمن بـــه اللطيف المستجيب
وكل الحادثـــــات إذا تناهت فموصول بهـا الفرج القريب

* * *

الصابرون والصابرات :

يحدثنا التاريخ العربي أن الخنساء الشاعرة التي أدركت الجاهلية والإسلام، وأنها أرسلت أبناءها الأربعة للمشاركة في معركة القادسية ضد أعداء الإسلام في ذلك الزمان، بقيادة البطل العربي المسلم سعد بن أبي وقاص في عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين وأوصتهم وصيتها المشهورة، وحضّتهم علي الصبر عند الزحف فقالت: «يا بَنيَّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم، ولا فضحت أخوالكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية: اصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها وخوضوا غمارها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة».

فلما وضعت الحرب أوزارها، تدافعوا إليها، وكانوا عند حُسن ظن أمهم بهم حتي قُتلوا واحداً بعد واحد ولما جاءها خبر استشهادهم لم تزد علي أن قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وارجو أن يجمعني ربي بهم في مستقر رحمته».

هكذا تكون التضحية في سبيل الله وهكذا يكون الصبر الجميل.

أم سليم وأبو طلحة:

يحدثنا البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتي أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنّعت له (١) أحسن ما كانت تصنّع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت(٢) لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال : لا فقالت:

---

(١) تصنعت له : أي بتحسين الهيئة بالحلي ونحوه . ووقع بها : جامعها.

(٢) أي أخبرني

فاحتسب ابنك (١) قال : فغضب ثم قال: تركتني حتي إذا تلطخت (٢) ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتي أتي رسول الله ﷺ فاخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ : بارك الله في ليلتكما قال : فحملت قال: وكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتي المدينة من سفر لا يطرقها طروقا فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ. قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يارب أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج، وادخل معه إذا دخل وقد احتبست بما تري، تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أنطلق، فانطلقنا وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاما. فقالت لي أمي: يا أنس لا يُرضعه أحد حتي تغدو به علي رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلي رسول الله ﷺ، فقال أمعه شئ؟ قلت : نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم حنّكه وسماه «عبد الله» متفق عليه. وفي رواية البخاري «قال ابن عيينه: فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن يعني من أولاد عبد الله المولود ببركة دعاء النبي ﷺ»

عَرْوة بن الزبير الصابر الزاهد:

أخذت الأكلة (٣) عروة بن الزبير في رجله فأشاروا عليه ببترها وقالوا نسقيك المرقد (٤) حتي يقوي علي احتمال الألم.

ثم دخل عليه جماعة فأنكرهم فقال : من هؤلاء؟ قالوا : إنهم جماعة يمسكونك أن تتفلت من أيدينا . قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى، ثم مد رجله وأعمل الطبيب فيها منشاره حتي إذا بلغ العظم أغلي الزيت في مقارف الحديد، وحسم به

(١) أي اطلب ثواب مصيبتك في ابنك من الله تعالي
(٢) تلطخت : أي تعذرت بالجماع.
(٣) داء في العضو يأكل منه
(٤) المرقد : دواء يرقد صاحبه كالأفيون ويسمي الآن البنج.

الدم وعروة لم ينقبض له وجه، ولم تتغير له سِحنه (١) ولم تُسمع له أنّه، ولم يكد يتم الطبيب عمله حتي دخل علي عروة رجل يعزيه فقال: إن كنت تعزينى عن رجلى فقد احتسبتها . قال : بل عن ولدك فقد سقط الساعة في اصطبل ومازالت ترفسه الدواب حتي قتلته .

فما زاد علي أن قال : «اللهم إنك أخذت ابنا، وأبقيت أبناء، وأخذت عضواً وتركت أعضاء، اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت أخذت فقد أبقيت».

والد لا يستكين لمصيبة :

يحكي أن عبد الله بن مطرف لما مات خرج أبوه علي قومه في ثياب حسنه، وقد أدهن فغضبوا فقالوا : يموت عبد الله، ويخرج في مثل هذه مدهناً.

قال : أفأستكين لها؟ وقد وعدني ربي تبارك وتعالي عليها خصالا كل خصله منها أحب إلي من الدنيا كلها؟ قال تعالي :

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

آية- ١٥٥ ١٥٧ -البقرة

صبرٌ لا تقوي عليه الجبال:

روي عن ذي النون المصري رحمه الله قال: كنت في الطواف وإذا بجاريتين قد أقبلتا، وأنشدت إحداهما تقول :

صبرت علي ما لو تحمل بعضه	جبال حنين أو شكت تتصدع
ملكت دموع العين ثم ذرفتها	إلي ناظري فالعين في القلب تدمع

فقلت : ماذا يا جارية؟ فقالت من مصيبة لم تصب أحداً قط. قلت : وما هي؟

---

(١) السحنه : الهيئة واللون

قالت : كان لي شبلان (أي ابنان صغيران) يلعبان أمامي وكان أبوهما ضحي بكبشين فقال أحدهما للآخر: يا أخي أريك كيف ضحّي أبونا بكبشه فقام وأخذ شفرته (سكينه) ونحره، فهرب القاتل، فدخل أبوهما فقلت له: إن ابنك قتل أخاه وهرب، فخرج في طلبه فوجده قد افترسه الأسد، فرجع الأب ولم يتفوه ببنت شفه، ومات في الطريق ظمأ وحزنا.

للموت تلد الوالدة:

قيل أن معاوية رضي الله تعالي عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب، فقال له معاوية: ياعبد العزيز أتاني نعى سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك؟ قال: بل ابنك قال : للموت تلد الوالدة.

أردت أن أرغم أنف الشيطان:

مات ابن لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فلما دفنه وقف علي قبره يضحك . فقيل له: أتضحك عند القبر قال: أردت أن أرغم أنف الشيطان

روي أبو موسي الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول: ابنو لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد» (قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب)

فينبغي للعبد أن يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه وقد وعد الله تعالي في المصيبة ثوابا عظيما إذا صبر صاحبها واحتسب.قال تعالي :﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾
آية ـ ١٥٥ـ (البقرة)

اللهم رضينا بقضائك وصبرنا علي بلائك فاغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين.

ألوان من المراثي

* رثاء (١) الإمام عليّ لرسول الله ﷺ

قال الإمام علي كرّم الله وجهه وهو يلي غُسْل رسول الله ﷺ : «بأبي أنت وأمي، لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء، وأخبار السماء، خصصت (٢) حتي صبرت مسليًا عمن سواك. وعممت حتي صار الناس فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفذنا عليك ماء الشئون (٣) ولكان الداء مما طلا والكمد محالفا وقلاَّلك (٤)، ولكنه ما لايُمْلك رده (٥). ولايُستطاع دفعه. بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك.

السيدة عائشة ترثي أباها أبا بكر الصديق رضي الله عنهما:

وقفت عائشة رضي الله عنها علي قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقالت: نضّر الله (٦) ياأبت وجهك، وشكرلك صالح سعيك، فقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها، وكنت للآخرة معزاً بإقبالك عليها، ولئن كان اجلّ الحوادث بعد رسول الله ﷺرزُؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك - إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك،

---

(١) نهج البلاغة جـ٢ صـ٢٢٨ بشرح الإمام محمد عبده ط دار المعرفة

(٢) النبي ﷺ خصي أقاربه وأهل بيته حتي كان فيه الغني والسلوة لهم عن جميع من سواه وهو برسالته عام للخلق فالناس في النسبة إلي دينه سواء

(٣) لأنفذنا أي لأفنينا علي فراقك ماء عيوننا الجاري من شئونه وهي منابع الدمع من الرأس

(٤) مما طلا بالشفاء. والكمد: الحزن ومخالفته: ملازمته وقلاَّ فعل ماض متصل بألف التثنية أي مماطلة الداء ومخالفة الكمد قليلتان لك

(٥) ماخبر لكن أي لكنه الموت الذي لايملك رده . وماحتم وقعه فلا يفيد الأسف عليه لأن الأسف وُضع في النفوس لمداركة الفائت والحذر من الآتي.

(٦) نضّر: زيّن وحسّن

وحُسن العوض منك،فأنا أتنجز موعود الله بحسن العزاء عليك،واستعيضه منك بالاستغفار لك،فعليك السلام ورحمة الله،توديع غير قالية (١) لحياتك، ولازارية علي القضاء فيك. ثم انصرفت.

عبد الملك بن مروان في رثاء معاوية رضي الله عنه:

وقف عبد الملك بن مروان علي قبر معاوية فقال: تالله إن كنت ماعلمت لينطقك العلم، ويسكتك الحلم. ثم أنشأ يقول :

وما الدهر والأيام إلا كما تري   رزينة مال أو فراق حبيب

علي بن أبي طالب في رثاء فاطمة الزهراء رضي الله عنهما:

قال المدائني: لما دفن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاطمة عليها السلام تمثل عند قبرها فقال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة   وكل الذي دون الممات قليل

وإن أفتقادي واحداً بعد واحدٍ   دليل علي أن لايدوم خليل

التعزية:

من الأمور المطلوبة وهي التصبير والحمل علي الصبر بذكر مايُسلي المصاب ويخفف عنه حزنه ويهوّن عليه مصيبته.

فعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ قال: «مامن مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة» رواه مسلم والنسائي وأحمد

ووقت التعزية من حين الوفاه إلي ثلاثة أيام وتُكره بعد تلك المدة إذا كان المعزي أو المعزي غائبا فإنها لاتكون حينئذ مكروهة.

(١) قاليه : مبغضة.

وليس للتعزية صيغة خاصة إلا أن أحسن صيغة تُقال فيها .. هي التي كان يقولها الرسول ﷺ : «إن لله ماأخذ وله ماأعطي وكل شيء عنده بأجل مسمي»

قال العلماء: فإن عزي مسلما بمسلم قال: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك، . وإن عزي مسلما بكافر قال: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك، وإن عزي كافراً بمسلم قال: أحسن الله عزاءك وغفر لميتك، وإن عزي كافراً بكافر قال: أخلف الله عليك.

وأما جواب التعزية فيؤمن المعزي ويقول للمعزي : آجرك الله، وعند أحمد إن شاء صافح المعزي وإن شاء لم يصافح .

طائفة من التعازي:

١. عَزْي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الأشعث عن ابنه فقال: إن تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم، وإن تصبر فان في الله خلفا من كل هالك، مع أنك إن صبرت جري عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جري عليك القدر وأنت مأزور.

٢. وعَزي ابن السماك رجلا فقال: عليك بالصبر، فبه يعمل من احتسب، وإليه يصير من جزع ، واعلم أنه ليست مصيبة إلا ومعها أعظم منها، من طاعة الله فيها أو معصيته بها.

٣. عَزي عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنهم في بني له صغير فقال: عَوضك الله منه ماعوّضه الله منك.

٤. وكتب الحسن بن أبي الحسن إلي عمر بن عبد العزيز يعزيه في ابنه عبد الملك:

وعُوِّضت أجراً من فقيد فلا يكن ... فقيدك لايأتي وأجرك يذهب

٥- وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا عزي قوما قال:عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم وإليه يرجع الجازع.

٦- وكان الحسن رضي الله عنه يقول في المصيبة : الحمد لله الذي آجرنا علي مالو كلفنا غيره لعجزنا عنه.

صلاة الجنازة

الصلاة علي الميت فرض كفاية لأمر رسول الله ﷺ، ولمحافظة المسلمين عليها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من شهد الجنازة حتي يصلي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتي تدفن فله قيراطان، قيل وما القيراطان؟ قال:« مثل الجبلين العظيمين» متفق عليه.

ويشترط في صلاة الجنازة مايُشترط في سائر الصلوات المكتوبة من الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة.

وأركانها : النية ، والقيام للقادر عليه ويكبر أربع تكبيرات يتعوذ بعد الأولي.ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثم يكبر الثانية ثم يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم فيقول: «اللهم صل علي محمد وعلي آل محمد كما صليت علي ابراهيم... إلي قوله - حميد مجيد . ولايقول مايفعله كثير من العوام من قراءتهم إن الله وملائكته يصلون علي النبي - الآية - فإنه لاتصح صلاته إذا اقتصر عليه،ثم يكبر الثالثة ويدعو للميت وللمسلمين بما سنذكره من الأحاديث إن شاء الله تعالي،ثم يكبر الرابعة ويدعو . ومن أحسنه «اللهم لاتحرمنا أجره ولاتفتنا بعده واغفر لنا وله. والمختار أنه يطول الدعاء في الرابعة خلاف مايعتاده أكثر الناس لحديث ابن أبي أوفي الذي سنذكره إن شاء الله تعالي . وأما الأدعية المأثورة بعد التكبيرة الثالثة فمنها:

عن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : صلي رسول الله ﷺ

علي جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه واكرم نزله (١) ووسع مدخله (٢) واغسله بالماء والثلج والبرد (٣) ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس (٤) وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلا خيراً من أهله وزوجا خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار» حتي تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت . رواه مسلم.

وعن أبي هريرة وأبي قتاده وأبي ابراهيم الأشهلي عن أبيه - وأبوه صحابي - رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه صلي علي جنازة فقال:«اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحيته منا فأحيه علي الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه علي الإيمان، اللهم لاتحرمنا أجره، ولاتفتنا بعده» (٥) (رواه الترمذي)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ،ﷺ يقول: إذا صليتم علي الميت فأخلصوا له الدعاء (رواه أبو داود)

وعنه عن النبيﷺ في الصلاة علي الجنازة :«اللهم أنت ربها وأنت خلقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، وقد جئناك شفعاء فاغفر له» (رواه أبو داود)

وعن عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنهما أنه كبّر علي جنازة ابنةٍ له أربع تكبيرات فقام بعد الرابعة كقدر مابين التكبيرتين يستغفر لها ويدعو ثم قال: كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا» وفي رواية« كبّر أربعا فمكث ساعة حتي ظننت أنه سيكبر خمسا ثم سلّم عن يمينه وعن شماله. فلما انصرف قلنا له: ماهذا؟ فقال: اني

---

(١) «واكرم نُزُله» بضمتين: أي أحسن نصيبه من الجنة

(٢) «مُدخله» بضم الميم: الموضع الذي يدخل فيه وهو قبره الذي يدخله الله فيه

(٣) «بالماء والثلج والبَرَد» بفتحتين: والغرض تعميم أنواع الرحمة والمغفرة في مقابلة أصناف المعصية والغفلة

(٤) «الدنس»: بفتحتين الدرن: يريد المبالغة في التطهير من الخطايا والذنوب.

(٥) بعده: أي بعد موته.

لأزيد علي مارأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يصنع أو هكذا صنع رسول الله ﷺ. رواه الحاكم وقال: حديث صحيح.

استحباب تكثير المصلّين علي الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

١. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين (١) يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه» رواه مسلم.

٢. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مامن رجل مسلم يموت فيقوم علي جنازته أربعون رجلا لايُشركون بالله شيئا إلا شفّعهم الله فيه» رواه مسلم.

٣. وعن مرثد بن عبد الله اليزني قال: كان مالك بن هبيرة رضي الله عنه إذا صلي علي الجنازة فتقالّ الناس عليها جزأهم عليها ثلاثة أجزاء ثم قال: قال رسول الله ﷺ:«من صلي عليه ثلاثة صفوف فقد أوجبت (٢)» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن

ويُستحب الإسراع بالجنازة

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اسرعوا بالجنازة فإن تلك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوي ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» متفق عليه. وفي روايه لمسلم«فخير تقدمونها عليه» .

٢. وعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي صلي الله عليه وسلم يقول: «إذا وُضعت الجنازة فاحتملها الرجال علي أعناقهم فإن كانت صالحة

---

(١) الأمة : الجماعة

(٢) أوجب : أي وجبت له الجنة.

قالت: قدموني،وإن كانت غير صالحة»قالت لأهلها: ياويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصَعِق (١) رواه البخاري

ويُستحب تعجيل قضاء الدين عن الميت

والمبادرة إلي تجهيزه إلا أن يموت فجأه فيُترك حتي يتيقن موته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺقال: «نفس المؤمن مُعلقة بديْنه (٢) حتي يُقضي عنه».

ويستحب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة.

عن أبي عمرو ـ وقيل أبو عبد الله ، وقيل أبو ليلي عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم ـ وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل» رواه أبو داود.

٢ـ وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ماتُخر جزور ويُقسم لحمها حتي أستأنس بكم وأعلم ماذا أرجع به رسل ربي. رواه مسلم. قال الشافعي رحمه الله: ويُستحب أن يُقرأ عنده شئ من القرآن، وإن ختموا القرآن كله كان حَسَنًا.

---

(١) لصعق: بفتح فكسر : أي لغشي عليه

(٢) التثبيت : أي عند سؤال الملكين «اللهم ثبتنا عند السؤال» .

هل يتأذي الميت ببكاء الحي عليه؟

أما النياحة وغيرها كلطم الخدود وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور فحرام

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الميت يُعذب في قبره بما ينح عليه» وفي رواية «ماينح عليه» متفق عليه

٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب، ودعا بدعوي الجاهلية». (متفق عليه).

٣- وعن أبي بردة قال: وجع أبو موسي فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنّه [١] فلم يستطع أن يرد عليها شيئا، فلما أفاق قال: أنت بريء ممن بريء منه رسول الله ﷺ : إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقه، والشاقة» متفق عليه. «الصالقة»: التي ترفع صوتها بالنياحة والندب، ،«والحالقه» التي تحلق رأسها عند المصيبة «والشاقة» التي تشق ثوبها.

٤- وعن المغيرة بن شُعْبه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من نيح عليه فإنه يُعذب بما نيح عليه يوم القيامة».

٥- وعن أم عطية نُسيبه «بضم النون وفتحها» رضي الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺعند البيعة أن لاننوح (متفق عليه).

٦- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أغمي علي عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فجعلت أخته تبكي وتقول: «واجبلاه، واكذا ، واكذا، تعدد عليه . فقال : حين أفاق: ماقلت شيئا إلا قيل لي أنت كذلك؟ (رواه البخاري) .

---

(١) الرنه : بفتح الراء وتشديد النون : الصيحة .

٧ - و عن أسيد بن أبى أسيد التابعى عن امرأة من المبايعات قالت : «كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ فى المعروف الذى أخذ علينا أن لا نعصيه فيه ، ألا تخمش وجها ، و لا ندعو ويلا ، ولا نشق جيبا ، وألا ننشر شعراً » (رواه أبو داود بإسناد حسن)

٨ـ وعن أبي موسي رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واجبلاه، واسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت؟. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

«اللهز» : الدفع بجمع اليد في الصدر. ومن ثم وجب علي النائحة والتي أتت فعلا يخالف شرع الله تعالي أن تتوب إلي الله توبه صادقة وتخلص النية أن لاتعود لمثل هذا الذنب أبداً حتي تُكتب لها النجاه من عذاب الله يوم القيامة.

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال (١) من قطران، ودرع من جرب» رواه مسلم.

أما البكاء : فجاءت أحاديث بالنهي عنه وأن الميت يُعذب ببكاء أهله، وهي متأولة محمولة علي من أوصي به، والنهي إنما هو عبارة عن البكاء الذي فيه ندب ونياحة.

والدليل علي جواز البكاء بغير ندب ولانياحة أحاديث كثيرة منها.

١ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بنُ عُباده ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فبكي رسول الله ﷺ ، فلما رأي القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «ألاتسمعون؟» إن الله لايُعذب بدمع العين ولابحزن القلب، ولكن يُعذب بهذا أو يرحم» وأشار إلي لسانه. متفق عليه.

(١) «السربال» القميص، والدرع ميتعار من درع الحديد وهي معروفة.

٢ـ وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رفُع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ ، فقال له سعد: ماهذا يارسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله تعالي في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» (متفق عليه) .

٣ـ وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل علي ابنه ابراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه ،(١) فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان (٢) ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يارسول الله؟ فقال :« يابن عوف إنها رحمة، ثم اتبعها بأخري فقال:«إن العين تدمع والقلب يحزن، ولانقول إلا مايرضي ربنا، وإنّا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون» رواه البخاري وروي بعضه مسلم ،الأحاديث في هذا الباب كثيرة. وفي الصحيح مشهورة ، والله أعلم .

هل ينتفع الميتُ بالصدقة وغيرها ؟

نعم ينتفع الميت بالصدقة وغيرها كالحج والصيام، قال الله تعالي :﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ (٣)

١ـ وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها(٤) وأراها لو تكلمت تصدقت، فهل لها من أجر إن تصدقت عنها؟ قال : «نعم». متفق عليه.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية،أو علم ينتفع به،أو ولد صالح يدعو له»رواه

---

(١) وهو يجود بنفسه: أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان مايجود به

(٢) تذرفان: بسكون الذال المعجمة وكسر الراء أي تدمعان.

(٣) سورة الحشر : آية ١٠.

(٤) أفتلتت نفسها: خرجت أي ماتت

مسلم.

٣- وأخرج ابن ماجه وابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن مما يلحق المؤمن من حسناته، علما نشره، أو ولداً صالحا تركه، أو مصحفا ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتا لابن السبيل(١) بناه أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موته».

٤- وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في سُننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنّي لي هذه؟ فيقول:«باستغفار ولدك لك»ولفظ البيهقي:«بدعاء ولدك لك».

٥- وأخرج احمد وغيره عن سعد بن عبادة أنه قال: يارسول الله ، إن أمي ماتت فأي الصدقة أفضل؟ قال :«الماء» فحفر بئراً وقال : هذه لأم سعد.

٦- وأخرج عن عطاء قال: يتبع الميت بعد موته: العتق والحج والصدقة، وإن الحسن والحسين رضي الله تعالي عنهما كانا يعتقان عن أبيهما علي - رضي الله عنه، بعد موته، وأن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالي عنها - أعتقت عن أخيها عبد الرحمن رقيقا من تلاده (٢) ترجو أن ينفعه ذلك بعد موته.

٧- واخرج ابن أبي شيبه عن الحجاج بن دينار قال: قال رسول الله ﷺ : «إن من البربعد البر، أن تصلي عليهما مع صلاتك، وأن تصوم عنهما مع صيامك، وأن تتصدق عنهما مع صدقتك.

٨- وأخرج مسلم عن بريدة أن امرأة قالت: يا رسول الله، إنه كان علي أمي صوم شهرين، أفيجزي(٣) أن أصوم عنها؟ قال: نعم. قالت : فان أمي لم تحج قط،

(١) ابن السبيل : المسافر كثير السفر .

(٢) التليدة : التي ولدت ببلاد العجم وحُملت فنشأت ببلاد العرب.

(٣) أجز أيجزي: كفي يكفي.

أفيجزي أن أحج عنها؟ قال : نعم.

وقد نظم البقاعي رحمه الله ما اجتمع من الخصال التي ينتفع بها الميت بعد موته وهي تسع فقال:

للعبد يجري الأجر بعد الموت في	تسع كما قال الرسول المصطفي
إجـــراء نهرٍ حَفْر بئر غرس نخـــل	نشر علم والتصدق في الشُفـا
وبنـــاء بيت ابن السبيل ومسجد	ويتركه ابناً صالحا أو مُصْحـفا

وتابَعَه الحافظ السيوطي فأوصل هذه الخصال إلي إحدي عشرة خصلة وقد نظمها رحمه الله شعراً فقال:

إذا مات ابن آدم ليس يجري	عليـــــه فعــــــال غير عشر
علوم بثهـــــا ودعـــــاء نجل	وغرس النخل والصدقات تجري
وراثــــــة مصحف ورباط ثغر	وحفــــــر البئر أو إجــراء نهر
وبيت للغريب بنـــــــاه يأوي	إليــــه أو بنــــــاء محلِ ذكر
وتعليــــــم لقرآن كريــــــم	فخذهــــــا من أحاديث بحصر

* ما لا ينتفع به الميت:

١- قال صاحب فقه السنه: «وما يفعله بعض الناس اليوم من اجتماع للتعزية وإقامة السرادقات، وفرش البسط، وصرف الأموال الطائلة من أجل المباهاة والمفاخرة من الأمور المُحدثة والبدع المنكره التي يجب علي المسلمين إجتنابها، ويحرم عليهم فعلها، ولا سيما وأنه يقع فيها كثير مما يخالف هدي الكتاب، ويناقض تعاليم السُنة، ويسير وفق عادات الجاهلية، كالتغني بالقرآن وعدم التزام آداب القراءة وترك الإنصات والتشاغل عنه بشرب الدخان وغيره، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوز عنه كثير من ذوي الأهواء، فلم يكتفوا بالأيام الأول بل جعلوا

يوم الأربعين يوم تجدد لهذه المنكرات وإعادة لهذه البدع ، وجعلوا ذكري أولي بمناسبة مرور عام علي الوفاة، وذكري ثانية وهكذا مما لا يتفق مع عقل ولا نقل «قلت» يا شعب مصر عليكم بكتاب الله تعالي وسُنة أحمد ﷺ(١).

٢- الصلاة عند القبور لا تنفع الميت: روي الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مرقد الغنوي أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصلوا إلي القبور ولا تجلسوا عليها» قال المناوي في فيض القدير : أي مستقبلين إليها لما فيه من التعظيم البالغ لأنه من مرتبة المعبود، ثم قال: وفيه دليل علي تحريم الصلاة إلي القبر لظاهر النهي».

وقال الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني في «سبل السلام» تعليقا علي هذا الحديث : «.. وفيه دليل علي النهي عن الصلاة المقدار الذي يكون به النهي عن الصلاة إلي القبر والظاهر أنه ما يُعد مستقبلا له عرفا».

ومن ثم فإنه يجوز للمسلم أن يصلي إذا كان القبر عن يمينه أو يساره أو خلفه ولا يجوز له أن يصلي إلي القبر ـ أي يكون القبُر بينه وبين القبلة ـ وكذلك إن كان القبر مسوّي بالأرض. أما بالنسبة لهذه الأضرحة والتي بُنيت داخل حجرات خاصة خارج المساجد فلا يجوز الصلاة فيها علي الإطلاق سواء كان المُصلِّي علي يمين أو يسار أو خلف القبر وذلك لأنه ترك ساحة المسجد وَالتي ما جُعلت إلا للصلاة ودخل الحجرة التي بها الضريح ليصلي عندها، فيكون عدم الجواز هنا من قبيل اتخاذ المقبرة مسجداً وهو منهيٌ عنه شرعا.

٣- النذر للأضرحة لا ينفع الميت: قال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار: (النذر الذي ينذره أكثر العوام علي ما هو مشاهد كأن يكون له إنسان غائب أو مريض أو له حاجة، فيأتي إلي القبر ويجعل علي رأسه ستره ويقول يا سيدي فلان، إن رد الله غائبي أو عوفي مريضى أو قُضيت حاجتي لك من الذهب كذا أو الطعام كذا أو من الماء كذا أو من القمح والزيت كذا، فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه

(١)واقرأ أيضا كتاب «الفتاوي» للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله.

منهـا: أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأن النذر عبـاده، والعبـادة لا تكون إلا للخـالق سبحـانه وتعـالي، ومنهـا أنه ظهـر أن الميت يتـصـرف في الأمـور دون الله واعتقاد ذلك كفر إلي أن قال : أمّا ما يُوخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها ويُنقل إلي ضرائح الأولياء تقربا إليها، فحرام بإجماع المسلمين.

* * *

الفصل الثالث

البرزخ

البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالي :﴿ وجعل بينهما برزخا ﴾ [1] أي حاجزاً، وقوله تعالي: ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ أي من أمامهم ومن بين أيديهم. روي هناد بن السري قال: حدثنا محمد بن فضيل ووكيع عن فطر قال: سألت مجاهداً عن قول الله تعالي «ومن ورائهم برزخ إلي يوم يبعثون»[2] قال: هو ما بين الموت والبعث. وقيل للشعبي: مات فلان. قال: «ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة هو في برزخ».

فالبرزخ حياة ثانية تتوسط حياتين: حياة دنيوية تبدأ بالولادة وتنتهي بالوفاة، وحياة أخروية تبدأ بالنفخ والبعث والنشور وتنتهي بالحساب والثواب وبالنعيم أو العذاب.

إذن فحياة البرزخ تبدأ من لحظة الوفاة إلي وقت النفخة الأولي حيث يخرجون من الأجداث سراعا كأنه إلي نصب يوفضون.

هذه الحياة البزخية ليست ومضة عابرة أو فترة قصيرة، بل هي حياة بكل ما تحتمله، وبكل ما تحمله كلمة حياة من معاني وأجواء، وفيها حساب وفيها نعيم وفيها مساءلة.

وحياة البرزخ ليست امتدادا للحياة الدنيا، فهي مغايرة لها، وليست علي شاكلتها، فما رجع أحد من الحياة البرزخية إلي دنيانا حتي يكون شاهد صدق علي أنها امتداد دنيوي وهي أيضا ليست الحياة الأخروية، لأن الحياة الأخروية لها ميقات

---

(١) آية ـ ٥٣ ـ الفرقان .

(٢) آية ـ ١٠٠ ـ المؤمنون .

وأشراط وعلامات مازالت في علم العليم الحكيم. قال تعالي:

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾

فالحياة البرزخية إذن حياة بين حياتين ..:

حياة فيها حياة .. تحلل فيها الميت من عتمته وظلامه وطينيته ودخل منطقة الروح والحق والنور، فرأي فيها ما حُجب عنه في دنياه وأبصر ما غُطي عليه، وعلم فيها ما كان وما سيكون. قال تعالي:

﴿ فكشفنا عنك غطاءَك فبصرك اليوم حديد ﴾

ورأي منها مكانه في العالم الأخروي ومكانته يوم القيامة مصدقا لقول رسول الله ﷺ: «ما من عبد ينزل في قبره إلا ويعرف مكانه في الآخرة أشقي أم سعيد».

جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:«إن العبد إذا وضع في قبره وتولي عنه أصحابه،وإنه ليسمع قرْع نعالهم(١)إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا النبي محمد؟فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله،فيُقال له: انظر إلي مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبي ﷺ فيراهما جميعا،وأما الكافر أو المنافق فيقول:لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه،فيُقال:لا دريت(٢) ولا تليت، ويُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين(٣).

في الحياة البرزخية صدِّيقون وشهداء أحياء في قبورهم وفيها جاحدون كافرون معذَّبون في رمسهم.

وفيها رسل الله من ملائكة وأنبياء يعيشون في أجوائها يسمعون ويرون ويحسّون ويشعرون.

---

(١) أحذيتهما.

(٢) لا علمت ولا نطقت.

(٣) الإنس والجن.

فالأنبياء أحياء في قبورهم .. يحيون حياة برزخية وقد التقي بهم رسول الله ﷺ ليلة أسري به وتحدث معهم وصلي بهم.

يقول الرسول ﷺ: «ليلة أن أسري بي التقيت في السماء بإبراهيم فقال لي: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان(١) وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

والتقي بآدم.

والتقي بموسي وهارون وداود وسليمان وإدريس ويحيى وعيسي

ورأي مَلَك الدمع الذي يبكي خطايا المذنبين.

ورأي ملائكة في هيئات مختلفة وأحجام متباينة.

وفي البرزخ شاهد رسول الله ﷺ الكثير من المشاهد البرزخية .. رأي منازل ودرجات العابدين العاملين .. ورأي دركات المخالفين المعاندين الذين خالفوا التعاليم الإلهية، أو تهاونوا فيها أو تثاقلوا عنها ..

إذن فالرسول محمد ﷺ وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، أحياء في برزخهم حياة لا يعلم كنهها إلا الله .. حياة كحياة هؤلاء الشهداء الذين قال الله فيهم : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾(٢)

وقال الله تعالي: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(٣)

يقول(٤) الإمام القشيري : فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياءٌ عند ربهم، فالأنبياء

(١) أرض مستوية.

(٢) من سورة آل عمران آية : ١٧٠

(٣) آية ١٥٤ من سورة البقرة.

(٤) ص ٨٧ من كتاب الإسراء والمعراج للدكتور عبد الحليم محمود.

أولي بذلك لتقاصر رتبة الكافة عن درجة النبوة.

قال الله تعالي ﴿ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ آية ٦٩-النساء

فرتبة الشهادة ثالث درجة النبوة، ولقد وردت الأخبار الصحيحة والاثار المروية بما يدل علي هذه الجملة.

ثم أورد الأمام القشيري جملة من الأحاديث يثبت بها ما رآه منها : عن عبد الله بن مسعود : عن النبي ﷺ قال : «إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام»(١).

يقول الامام القشيري تعليقا علي هذا الحديث : «ولا يبلغ السلام إلا ويكون حيا» ويروي الإمام القشيري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «من صلي علّي عند قبري سمعته، ومن صلّي علّي نائيا أبلغته»

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً لن يصلي عليّ إلا عُرِضت عليّ صلاته حتي يفرغ منها» قال : قلت : وبعد الموت؟

قال : إن الله حرّم علي الأرض أن تأكل جسد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلّق به بحيث تُعرض عليه صلاة من صلّي عليه، ويرد سلام من سلّم عليه وهي في الرفيق الأعلي.

وأعجب من ذلك أنك تري النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشئ من ذلك، وذلك أن الحكم لما جري علي الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلي بدنها بطريق الاستتباع، فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن

(١) رواه احمد والنسائي وابن حبان والحاكم . صحيح الجامع (٢١٧٠).

تجرد الروح هنالك أكمل وأقوي وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب علي الأرواح ظاهراً أبديا أصلا.

ومتي أعطيت هذا الموضوع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول ﷺ من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفره من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه كما قيل:

وكم من عائبٍ قولا صحيحا　　　وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فرش واحد، وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم علي بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب علي بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر، فأمر البرزخ أعجب من ذلك ».

إن حياة البرزخ من الأمور الغيبية .. وهو ما يُعبر عنه بالسمعيات وهي محك الإيمان، فمن يؤمن بما غاب عنه إيمانا مطلقا عميقا أقوي من غير شك من هذا الذي لا يؤمن إلا بالمعاينة والمشاهدة.

والسمعيات يُرادبها : ما يأتي العلم به عن طريق السماع من رسول الله ﷺ، أو عن رسول الله ﷺ ، أو من الآثار والآخبار الصحيحة التي رويت عن صحابة رسول الله ﷺوعن السلف الصالح.

والعقل في هذا المجال السمعي الغيبي لا مدخل له ولا مكان فهي أمور تعز علي العقل وعلي التصور وعلي الخيال وعلي البال. وفي إيمان عميق واعتقاد متين مكين نواجه بالموت .. وبما بعد الموت .. نؤمن بالأيام الآخروية وبالحياة البرزخية .. وبعذاب القبر ونعيمه .. نؤمن فى ثقة لا يشوبها شك أو وهم أو ارتياب في السمعيات والغيبيات مرددين ما ورد .. موقنين به ... مؤمنين بأن هذه السمعيات

بعيدة عن عقول البشر .. موقنين بالغيب إيقاننا بواقعنا.

وصدق رسول الله ﷺ في كل ما أخبر به عن هذه الأمور الغيبية.

ضمة القبر

ضمّة القبر أو ضغطة القبر هي : التقاء جانبيه علي جسد الميت، قال الحكيم الترمذي: «سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألمَّ بخطيئة ما، حتي وإن كان صالحا فجُعلت لهم هذه الضغطة جزاء لها، ثم تدركه الرحمة، أما الأنبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمه ولا سؤالا، وذلك لعصمتهم».

ويعلل الإمام «محمد التيمي» ضمة القبر - فيما يرويه عنه ابن أبي الدنيا - فيقول : «إن ضمة القبر، إنما أصلها أن الأرض أمهم، ومنها خُلقوا، فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما رُدّ إليها أولادها ضمتهم ضم الوالدة غاب عنها ولدها ثم قدم عليها، فمن كان لله مطيعا ضمته برأفة ورفق، ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا منها عليها لربها».

وأخرج البيهقي وابن مقدة، والديلمي وابن النجار عن سعيد بن المسبب أن عائشة - رضي الله عنها - قالت : يا رسول الله، إنك منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شئ، قال : «يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالأثمد[1] في العين، وإن ضغطة القبر علي المؤمن كالأم الشقيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزاً رفيقا، ولكن يا عائشة. ويل للشاكّين في الله كيف يُضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة علي البيضة.

قال السبكي في بحر الكلام: المؤمن المطيع، لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطة القبر، فيجد هول ذلك وخوفه، لما أنه تنعم بنعمة الله ولم يشكر النعمة.

وقال أبو القاسم السعدي في كتابه «الروح» : «والفرق بين المسلم والكافر في

(١) الأثمد : الكحل في العين.

ضمة القبر، دوامها للكافر، وحصولها للمؤمن في أول نزوله إلي قبره ثم يعودَ إلي الإنفساح له، ولا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح إلا من استثناه النبي ﷺ من هؤلاء وهم :

١- الأنبياء ... قال الحكيم الترمذي : وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نعلم أن لهم في القبور ضمّة ولا سؤالا لعصمتهم كما تقدم .

٢- من قرأ «قل هو الله أحد» في مرضه الذي يموت فيه كما قال عليه الصلاة والسلام في حديثه الذي رواه أبو نعيم في الحليه عن عبد الله بن الشخير : «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في مرضه الذي يموت فيه، لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتي تجيزه من الصراط إلي باب الجنة.

٣- فاطمة بنت أسد بن هاشم، أم «علي بن أبي طالب» رضي الله عنهما وذلك لأنها ضمت المصطفي ﷺ عن جابر بن عبد الله قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ أتاه آت فقال يا رسول الله إن أم علي وجعفر وعقيل قد ماتت، فقال رسول الله ﷺ «قوموا إلي أمي فقمنا وكأن علي رءوس من معه الطير، فلما انتهينا إلي الباب نزع قميصه فقال: إذا غسلتموها فأشعروها(١) اياه تحت أكفانها » فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل، ومرة يتقدم، ومرة يتأخر حتي انتهينا إلي القبر فتمعك في اللحد ثم خرج فقال: أدخلوها باسم الله، وعلي اسم الله فلما أن دفنوها قام قائما فقال: جزاك الله من أم وربيبة خيراً فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لي فقلنا : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما. قال : ما هما؟ قلنا: نزعك قميصك وامعكك في اللحد. قال : «أما قميصي فأريد ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالي، وأما تمعكي في اللحد فأردت أن

---

(١) أشعروها إياه: أي ألبسوها قميصي وأجعلوه علي جسدها شعاراً لها لإن الشعار (بكسر الشين) من اللباس ما يلي شعر الجسد بخلاف الدثار (بكسر الدال) فإنه يُلبس فوق الشعار.

يوسع الله عليها في القبر».

وقال مجاهد: «أشد حديث سمعناه عن النبي ﷺ «ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد، فقيل: يا رسول الله: ولا القاسم ابنك، قال: ولا إبراهيم»

قال جلال السيوطي رحمه الله نظماً:

وضمة القبر وليس من أحد	يَسْلم منها ما عدا بنت أسد
فاطمة ومن لإخلاص قرأ	في مرض الموت كما قد ذكرا
ويُضغط الميت ضغطة تزول	منها الحمائل كما قال الرسول

ويروي عنه ﷺ أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم في المدينة سكب عليها الماء الذي فيه الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قبرها وقال: «الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حُجتها ووسّع عليها مدخلها».

وعن حذيفة (١) رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلي القبر قعد علي شفيره فجعل يردد بصره فيه، ثم قال: يُضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله (٢) وقالت عائشة رضي الله عنها: «إن للقبر ضغطة لو كان أحدٌ منها ناجيا لنجا منها «سعد بن معاذ».

وعن جابر(٣) رضي الله عنه قال: «لما دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه سبّح رسول الله ﷺ وسبّح الناس معه طويلا ثم كبّر وكبّر الناس، ثم قالوا: يا رسول الله، لم سبّحت؟ قال: لقد تضايق علي هذا الرجل الصالح قبره حتي فرّج الله عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لما دُفن سعد بن معاذ وهو قاعد علي

---

(١) رواه احمد والترمذي والبيهقي.

(٢) الحمائل: يراد بها هنا - كما جاء في كتاب النهاية لابن الأثير: عروق الأنثيين، ويصح أن يراد بها أيضا موضع حمائل السيف أي عاتق الميت وأضلاعه وصدره.

(٣) رواه احمد والتمذي والطبراني والبهيقي.

قبره قال: «لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضُمّ ضمّة ثم أرخي عنه».

وروي البيهقي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة- لقد ضُمّ ثم فرّج عنه، يعني سعد بن معاذ. قال الحسن رضي الله عنه: تحرك له العرش فرحا بروحه.

وأخرج الحكيم الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ فاحتبس (١) فلما خرج قيل: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: لقد ضُمّ سعد في القبر ضمّة فدعوت الله أن يكشف عنه.

وأخرج البيهقى من طريق ابن اسحاق عن أمية بن عبد الله أنه سُئل بعض أهل سعد، مابلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا: ذكر لنا رسول الله ﷺ سُئل عن ذلك فقال: «كان يقصر في بعض الطهور من البُول».

وروي الطبراني عن أنس قال: توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرجنا معه فرأيناه مهتما(٢) شديد الحزن فقعد علي القبر هنيهة(٣) وجعل ينظر إلي السماء، ثم نزل فيه، فرأيته يزداد حزنا، ثم خرج فرأيته سُرِّيَ(٤) عنه وتبسم، فسألناه، فقال: «كنت أذكر ضيق القبر وغمه وضعف زينب، فكان ذلك يشق عليّ، فدعوت الله أن يخفف عنها ففعل،ولكن ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين(٥) إلا الإنس والجن.

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا عن زاوان أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما دفن رسول الله ﷺ ابنته رقية - رضي الله عنها - جلس عند القبر، فاربد

(١) تأخر في الخروج منه.

(٢) مغتما محزونا.

(٣) قليلا من الزمان.

(٤) كشف عنه الحزن

(٥) الخافقان: طرفا السماء والأرض وقيل المشرق والمغرب.

وجهه (١) ثم سُرِّي عنه، فسأله أصحابه عن ذلك، فقال: ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر، فدعوت الله، ففرج عنها، وأيم الله (٢) لقد ضُمّت ضمة، سمعها ما بين الخافقين».

وروي ابن عساكر أن نافعا مولي ابن عمر، لما حضرته الوفاة جعل يبكي فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت سعداً وضغطة القبر.

قال يزيد الرقاشي فيما يرويه ابن أبي الدنيا: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته (٣) أعماله ثم أنطقها الله تعالي. فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته، انقطع عنك الأخلاء والأهلون، فلا أنيس لك اليوم غيرنا.

وعن عطاء بن يسار قال: إذا وضُع الميت في لحده، فأول شئ يأتيه عمله، فيضرب فخذه الشمال، فيقول: أنا عملك، فيقول: أين أهلي وولدي وعشيرتي وما خولني الله تعالي؟ فيقول: تركت أهلك وولدك وعشيرتك وماخولك الله وراء ظهرك، فلم يدخل قبرك معك غيري، فيقول : يا ليتني آثرتك علي أهلي وولدي وعشيرتي وما خولني الله تعالي إذ لم يدخل معي غيرك.

وقال أحمد بن أبي الحواري أن ابراهيم بن الفضل حدّثه عن أبي المليح الرقي قال: إذا أدخل ابن آدم في قبره لم يبق شئ كان يخافه في الدنيا دون الله عز وجل إلا تمثل له يفزعه في لحده، لأنه كان في الدنيا يخافه دون الله عز وجل.

فائده:

قال بعض العلماء : من فعل سيئة فإن عقوبتها تُدفع عنه بعشرة أسباب :

١- أن يتوب فيُتاب عليه.

---

(١) تغير لون وجهه إلي الغبرة

(٢) قسم بالله

(٣) أحاطت به

٢- أو يستغفر فيُغفر له.

٣- أو يعمل حسنات فتمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

٤- أو يُبتلي في الدنيا بمصائب فتكفر عنه .

٥- أو في البرزخ بالضغطة والفتنه فتكفر عنه.

٦- أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له.

٧- أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه.

٨- أو يُبتلي في عرصات [1] القيامة بأهوال تكفّر عنه.

٩- أو تدركه شفاعة نبيّه.

١٠- أو رحمة ربه.

انتهى

---

(١) العرصات : جمع عرصه وهي كل موضع واسع لا بناء فيه.

عذاب القبر ونعيمه

قلنا فيما سبق إن البرزخ أول دار الجزاء وأن عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها وهو مشتق منه وأن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن العذاب والنعيم في القبر علي النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنّه والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحالة مجتمعين، كما يكون علي الروح منفردة عن البدن».

ويقول صاحب كتاب الأنوار البهية: «واعلم أن مذهب سلف الأمة وائمتها أن الإنسان إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقي بعد مفارقة البدن منعّمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

ثم إذا كان يوم القيامة الكبري أعيدت الأرواح إلي الأجساد وقاموا من قبورهم إلي رب المعاد».

ويقول صاحب كتاب «الروح» ابن القيم الجوزية: «ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه قُبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو أحرق حتي صار رماداً، ونسف في الهواء أو صُلب أو غرق في البحر ووصل إلي روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلي القبور، وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلي صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأي منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأي أحد رؤيا قصُها فيقول: ما شاء الله، فسألنا يوما فقال: هل رأي أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا ، قال: لكني رأيت الليلة رجلين

أتيانى، فأخذا بيدي، وأخرجاني إلي الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب (١) من حديد يدخله في شدقه حتي يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيضع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتي أتينا علي رجل مضطجع علي قفاه ورجل قائم علي رأسه بصخرة أو فهر(٢) فيشدخ بها رأسه فإذا ضربه تدهده (٣) الحجر فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلي هذا حتي يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا إلي نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم، فإذا اقترب ارتفعوا حتي كادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتي أتينا علي نهر من دم فيه رجل قائم وعلي شاطئ النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمي الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمي في فيه حجراً رجع كما كان! قلت: ما هذا قالا لي : انطلق، فانطلقنا فذكر الحديث. وفيه «قلت طوفتمانى الليلة فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم أما الرجل الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدّث بالكذب فتُحمل عنه حتي تبلغ الآفاق فيُصنع به ذلك إلي يوم القيامة، وأما الذي رأيته يشدخ رأسه فرجل عَلمه الله القرآن فنام عنه الليل ولم يعمل فيه بالنهار يُفعل به إلي يوم القيامة، وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة، وأما الذي رأيت في النهر فآكل الربا وهذا نص في عذاب البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر.

علي أن حادثة أصحاب القليب معروفة مشهورة رواها الإمام البخاري بعدة روايات، ورواها غيره بعدة روايات أيضا، من هذه الروايات الآتية عن البخاري قال

---

(١) كلوب وكُلّاب: خشب في رأسها عقافة من حديد وفي جامع الأصول: حديدة معوجة الرأس.

(٢) الفِهر: الحجر الناعم الصلب، وفي النهاية الفِهْر: الحجر ملء الكف وقيل هو الحجر مطلقا.

(٣) تدهده الحجر: تدحرج.

حدثنا علي بن عبد الله عن أبي يعني عبد الله بن محمد عن صالح عن نافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما أن عبد الله بن عمر أخبره قال: «اطلع النبي ﷺ علي أهل القليب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل له: تدعو أمواتا؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون.

وروي البخاري عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: نعم. عذاب القبر . قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلي صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما. أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال».

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر، روي مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط (١) لبني النجار علي بغلة ونحن معه إذ جادت به وكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا فقال: متي مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك. فقال النبي ﷺ إن هذه الأمة تُبتلي في قبورها فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه. ثم أقبل علينا بوجهه فقال: نعوذ بالله من عذاب القبر».

وفي الصحيحين: مرّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة. ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين، ثم غرز علي كل قبر واحدة، قالوا: لم

(١) البستان.

فعلت هذا يا رسول الله؟ قال: لعله يخفف عنهما مالم ييبسا.

قال ابن القيم في كتابه «الروح» تعليقا علي هذا الحديث إن هذا (أي الذي لم يتطهر من بوله ولم يزل نجاسته الحسّيه) ترك الطهارة الواجبة وذاك (أي الذي أفسد ما بين الناس وأوقع بينهم وأفسد دنياهم ومجتمعهم) قد ارتكب السبب الموقع للعدواة بين الناس بلسانه إن كان صادقا. وفيه إشارة إلي أن الموقع بينهم العدواة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيها علي أن من ترك الصلاة - التي الاستبراء من البول بعض شروطها - أشد عذاباً.

كما أن عذاب القبر أو عذاب البرزخ مذكور في القرآن في غير موضع، يشير القرآن الكريم إلي حياة الكفار بعد الموت وقبل القيامة، يقول الله تعالي عن آل فرعون:

«النارُ يُعرضون عليها غُدُواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدْخلوا آلَ فرعون أشدَّ العذاب» (١)

قال ابن مسعود: تُعرض أرواحهم من حين موتهم إلي قيام الساعة

قال القرطبي: الجمهور علي أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر وقال صاحب تفسير الجلالين: هذه الآية تدل علي عذاب القبر في الدنيا ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة «ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب». وفي الحديث عن ابن مسعود: أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تُعرض علي النار بالغداة والعشي فيقال : هذه ناركم».

وقال علي رضي الله تعالي عنه :«مازلنا في شك من عذاب القبر حتي نزلت آية: ألهاكم التكاثر حتي زرتم المقابر».

وقال ابن مسعود : إذا مات الكافر أجلس في قبره، فقال: من ربك ؟ ومادينك ؟

---

(١) آية ٤٦ من سورة غافر

فيقول : لاأدري، فيضيق عليه قبره، ثم قرأ ابن مسعود : «فإن له معيشة ضنكا»
قال : المعيشة الضنك، هي عذاب القبر
وقال قتادة في قوله تعالي «سنعذبهم مرتين»إحداهما فى الدنياً ، والأخرى عذاب القبر. وقال إبن عباس فى قوله تعالى :ـ : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ آيه ـ٢١ـ (السجدة) الأدني في القبر ، والأكبر : يوم القيامة
يقول ابن القيم : عذاب القبر قسمان : دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة، فإنه يُعذّب بحسب جريمته، ثم يُرفع عنه، وقد يُرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك.

نعيم القبر :

أما نعيم القبر فهناك أحاديث ثابتة صحيحة عن رسول الله ﷺ تدل عليه منها
* مارواه مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لما مات أبو سلمة: «اللهم أفسح له قبره ونوّر له فيه»
* وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن هذه القبور مملوءة علي أهلها ظُلمة وإن الله ينورها بصلاتي عليهم.
* وأخرج الديلمي في الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات العالم صوّر الله له علمه في قبره فيؤنسه إلي يوم القيامة ويدرأ عنه هوام الأرض (أي يدفعها عنه).
* وأخرج أبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار بسنده عن عمر مرفوعا : «من نوّر في مساجد الله نوراً نوّر الله في قبره ومن أراح فيه رائحة طيبة أدخل الله عليه في قبره من روح الجنة.
* وروي البيهقي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول

الله ﷺ : القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

* وأخرج الترمذي مثله من حديث أبي سعيد الخدري.

* وروي الطبراني مثله في الأوسط من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

* وأخرج أحمد والنسائي وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: إن الرجل إذا توفي في غير مولده فيفسح له من مولده إلي منقطع أثره».

* وأخرج ابن منده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : المؤمن في قبره في روضة خضراء يرحب (١) قبره سبعين ذراعا، وينور له كالقمر ليلة البدر.

* وأخرج علي بن معبد عن معاذ قال : قلت لعائشة رضي الله عنها - ألا تخبرينا عن مقبورنا مايلقي ومايُصنع به، فقالت : إن كان مؤمنا فُسح له في قبره أربعون ذراعا.

* وأخرج الأجري في كتاب الغرباء، عن الصلت بن حكيم قال : حدثني أبو يزيد (رجل من أهل البحرين) (٢) قال : غسّلت رجلا ميتا بالبحرين، فإذا هو مكتوب علي لحمه : طوبي لك ياغريب (٣) ! فذهبت انظر فاذا هو (٤) بين الجلد واللحم.

* وأخرج الديلمي يفسح للرجل في قبره كبعده عن أهله.

* وأخرج ابن عساكر في تاريخه، عن عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط قال : حضرت جنازة الأحنف بن قيس، فكنت فيمن نزل قبره فلما سويته، رأيته فُسح له مّد بصري. فأخبرت بذلك أصحابي ، فلم يروا مارأيت.

---

(١) يتسع

(٢) البحرين : تقع شرقي الجزيرة العربية وتطل علي مياه الخليج العربي

(٣) طوبي : اسم الجنة أو شجرة فيها

(٤) هو : أي الشيء المكتوب والمراد الصيام في أيام الصيف الحارة.

* وأخرج أبو الحسن بن السري في كتاب كرامات الأولياء، عن ابراهيم الحنفي، قال : صلب الحجاج ماهان الحنفي علي بابه - وكان يصلب القراء علي أبوابهم - فكنا نري الضوء عنده في الليل.

* وأخرج ابن أبي شيبه في المصنف ، وأبو داود في سُننه، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لايزال يُري في قبره نور

* وأخرج أبو نعيم،عن المغيرة بن حبيب،أن عبد الله بن غالب الداني قُتل في المعركة شهيداً ، فلما دُفن أصابوا من قبره رائحة المسك،فرآه رجل من إخوانه في منامه قال : ماصنعت ؟ قال : خير الصنيع ؟ قال : إلي ما صرت ؟ قال : إلي الجنة ، قال : بم ؟ قال : بحسن اليقين ، وطول التهجد،وظمأ الهواجر (١) قال : فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك ؟ قال : تلك رائحة التلاوة والظمأ.

* وأخرج أحمد في الزهد،عن مالك بن دينار،قال : نزلت في قبر عبد الله بن غالب فأخذت من ترابه ، فإذا هو مِسْك ، وفُتِن الناس به. فبُعث إلي قبره فسوّي.

* وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد ، عن السري بن مخلد ، أن النبي ﷺ قال لأبي ذر : «لو أردت سفراً لأعددت له عده، فكيف سفر طريق القيامة ؟ ألا أنبئك أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال : بلي بأبى أنت وأمي (٢) قال : «صُمْ يوما شديد الحر ليوم النشور (٣) ، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور.

* وأخرج الديلمي عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :«قال موسي : يارب، مالمن عاد مريضا ؟ قال : يوكل به ملكان يعودانه في قبره حتي يُبعث» (٤)

* وأخرج الديلمي والخطيب في الرؤية ، عن مالك، وأبو نعيم وابن عبد البر في

(١) المراد - الصيام في أيام الصيف الحارة

(٢) أي أفديك بأبي وأمي

(٣) يوم النشور : يوم يُبعث الموتي من القبور للحساب

(٤) أي يوم البعث والنشور

التمهيد عن علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - قال : قال رسول الله ﷺ : من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين ، كان له أمانا من الفقر ، وأنساً من وحشة القبر ، وفُتحت له أبواب الجنة».

ورواه الخطيب أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

* وروي الترمذي وحسّنه والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباء علي قبر وهو لايحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة المُلك حتي ختمها .فأتي النبي ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: «هي المنجيّه هي المانعة تُنجيه من عذاب القبر».

وقد يسأل سائل ما الحكمة في كون عذاب القبر ونعيمه لم يذكر في القرآن ذكراً صريحا مع شدة الحاجة إلي معرفته والايمان ليحذره الناس ويتقوه في حال العذاب ، ويرجونه ويعملون له في حال النعيم .. وقد أجاب ابن القيم في كتابه «الروح» عن هذا التساؤل فقال :

إن الله سبحانه وتعالي أنزل علي رسوله وحيين، فأوجب علي عباده الإيمان بهما، والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة، قال تعالي :﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ آية -١١٣- (النساء) وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ (١)

والحكمة هي السّنة باتفاق السلف، وما أخبر به الرسول ﷺ عن الله في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب سبحانه وتعالي علي لسان رسوله فهذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لاينكره إلا من ليس منهم، وقد قال النبي ﷺ :«إني أوتيت الكتاب ومثله معه».

ثم قال : إن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في مواضع منها قوله تعالي:﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ

(١) سورة الجمعة - الآية - ٢ -

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(١)، وهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهو الصادقون - عن هؤلاء أنهم حينئذ يُجزون عذاب الهون ، ولو تأخر عنهم ذلك إلي انقضاء الدنيا لما صحّ أن يُقال لهم اليوم تُجزون عذاب الهون .

ومنها قوله تعالي : ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(٢) وقد اختلف السلف متي يقال لها ذلك ؟ فقالت طائفة: يُقال لها عند الموت ، وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه وقد فسر ذلك النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال (٣) : تحضر الملائكة، فإذا كان الرجل صالحا قال : اخرجي أيتها النفس الطيبة ، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وابشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يُقال لها ذلك حتي تخرج ، ثم يُعرج بها إلي السماء ، فينفتح لها، فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، فيقال : مرحبا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة ، وابشري بروح وريحان (٤) ، ورب غير غضبان، فلا يزال تقال لها ذلك حتي تنتهي إلي السماء السابعة ، فإذا كان الرجل السوء ، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة،وابشري بجحيم وغساق (٥) وآخر من شكله (٦) أزواج ، فلا يزال يُقال لها ذلك حتي تخرج، ثم يُعرج بها إلي السماء، فيستفتح لها، فيقال : فلان، فيقال : لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة ، فإنها لاتفتح لها

---

(١) سورة الأنعام - ٩٣

(٢) سورة الفجر - ٢٧ - ٣٠

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي

(٤) روح وريحان : الرحمة ولرزق

(٥) الغساق : صديد يسيل من أجساد أهل النار

(٦) آخر من شكله : عذاب آخر مثله في بشاعة الطعم.

أبواب السماء، فترسل من السماء، ثم تصير إلي القبر».

وقوله تعالي :﴿ فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾ مطابق لقوله ﷺ الذي رواه البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ «والحقني بالرفيق الأعلي»(١)

وإذا تأملنا قول الله تعالي :﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(٢) وأضفنا إلي هذه الصورة القرآنية مارواه الرسول ﷺ وماذكره في حديث الإسراء (....... رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم حين يُعرضون علي النار يطؤونهم لايقدرون علي أن يتحولوا من مكانهم» نري أن هذه الصورة التي رآها الرسول ﷺ في معراجه عن قوم فرعون هي التي تحدث الله عنها في كتابه..

وقد أثار صاحب كتاب «الروض الأنف» تساؤلا وأجاب عنه فقال «فإن قيل هذه الأحوال التي وصفها عن أكلة الربا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة فآل فرعون في الآخرة قد أدخلوا أشد العذاب، وإنما يُعرضون علي النار غدواً وعشياً في البرزخ، وإن كانت هذه الحال التي رآهم عليها في البرزخ فأي بطون لهم وقد صاروا عظاما ورُفاتا ومُزقوا كل ممزق.

ثم قال «والجواب أنه إنما رآهم في البرزخ وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت ويخلق الله في تلك الأرواح من الآلام مايجده من انتفخ بطنه حتي وطيء بالأقدام ولايستطيع القيام وليس في هذا الحديث دليل علي أنهم أشد عذابا من آل فرعون ولكن فيه دليل علي أنه يطؤوهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا

---

(١) رواه البخاري في المرضى ١٩، وفضائل الصحابة ٥ ، ومسلم في السلام ٤٦، وفضائل الصحابة ٨٥، والترمذي في الدعوات ٧٦، وابن ماجه في الجنائز ٦٤، ومالك في الموطأ - باب الجنائز ٤٦، وأحمد في مسنده ٤٥/٦

(٢) سورة غافر الآية ٤٦

الربا ماداموا في البرزخ إلي أن يقوموا يوم القيامة».

إذن لانكون مغالين ولابالغين ولانسير في متاهات بعيدة عن الحق إذا ماحكمنا بأن مارآه الرسول ﷺ في معراجه من صور إنما كان كل ذلك شرائح وقطاعات حقيقية من الحياة البرزخية التي يعيشها ويحياها أهل البرزخ في برزخهم.

رأي العُصاه المذنبين وهم يُعَذبون في برزخهم وشاهد طوائف من مؤمني كل عصر ينعمون ويسعدون .. لقد شم رسول الله ﷺ في مسراه رائحة طيبة فقال : ماهذا ياجبريل؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها (١) وفي لحظات ، بل في لمحات ترقي محمد ﷺ في معراجه واختزل الزمن وقطع بحاراً شاسعة ومناطق وأودية ضياء وظلمة ، واخترق الحُجب من ظلمات وماء ونار وهواء إلي أن التقي بالله ... ورأي مايعجز اللسان عن تبيانه، ومايعيا الفهم عن تصوره وإدراكه (٢).

هذه صور لحياة البرزخ، ونعيم البرزخ، وعذاب البرزخ، وما كان المولي العادل الرحيم ليعذب روحا عرفته.. وأحبته وامتثلت لأمره، ورضيت بقضائه وقدره.. ونفذت تعاليمه وسارت على هديه وصبرت علي طاعته، وصبرت علي المعصية.

---

(١) بينما كانت تمشط شعر بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها. فقالت: بسم الله تعس فرعون: فقالت ابنة فرعون: أولك رب غير أبي؟ قالت : نعم قالت :أفأخبر أبي بذلك قالت نعم، فأخبرته. فدعاها فقال :أولك رب غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله.

وكان للمرأه زوج وثلاثة أولاد، أصغرهم رضيع ، فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا ، فقال: إني قاتلكما قالت : إحسانا منك إلينا إن قتلتنا أن تجعلنا في مكان واحد فتدفنا فيه جميعا فقال: لك ذلك بما لك علينا من حق .. وأمر ببقرة من نحاس فأحميت بزيت ثم أمر بهم فألقوا فيها واحداً واحداً حتي بلغ الرضيع وكانت أمه تحمله ولشفقتها عليه تلكأت وكادت ترجع لموافقه فرعون فقال: ياأمي قمي ولاتتقاعسى فإنك علي الحق.

فكان هذا الرضيع ممن تكلموا في المهد خرقا للعادة.

(٢) انظر حديث الإسراء والمعراج صـ ٢٥٠ جـ١ من كتاب «الروض الأنف»

الأسباب المنجية من عذاب القبر

أخرج الطبراني في الكبير، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، والأصبهاني في الترغيب عن عبد الرحمن بن سُمْرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : «إني رأيت البارحة عجبا....

١. رأيت رجلا من أمتي، جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بِرّه لوالديه فرده عنه.

٢. ورأيت رجلا من أمتي،بُسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك.

٣. ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته (١) الشياطين فجاء ذكر الله فخلصه من بينهم.

٤. ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته،فاستنقذته من أيديهم.

٥. ورأيت رجلا من أمتي يلهث (٢) عطشا، كلما ورد حوضا مُنع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.

٦. ورأيت رجلا من أمتي، والنبيون قعود حلقا حلقا ، كلما دنا لحلقة طردوه، فجاء اغتساله من الجنابة، وأخذ بيده وأقعده إلي جنبه.

٧. ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة، وخلفه ظلمه، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فهو متحير فيها (٣) فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة، وأدخلاه النور.

٨. ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولايكلمونه فجاءته صلة الرحم، فقالت : يامعشر المؤمنين ، كلموه فكلموه.

---

(١) احتوشته : أحاطت به.

(٢) لهث الكلب ، يلهث لهثا، إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحر

(٣) أي لايدري كيف يهتدي

٩- ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت ستراً علي وجهه، وظلا علي رأسه.

١٠- ورأيت رجلا من أمتي أخذته الزبانية (١) من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

١١- ورأيت رجلا من أمتي جاثيا (٢) علي ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حُسْن خلقه، فأخذ بيده فأدخله علي الله.

١٢- ورأيت رجلا من أمتي ، وقد هوت به صحيفته من قبل شماله (٣) فجاءه خوفه من الله، فأخذ صحيفته ، فجعلها عن يمينه.

١٣- ورأيت رجلا من أمتي قد خفّ ميزانه، فجاءته أفراطه (٤) فثقلوا ميزانه.

١٤- ورأيت رجلا من أمتي ، قائما علي شفير (٥) جهنم ، فجاءه وجله (٦) من الله، فاستنقذه من ذلك ومضي.

١٥- ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكي بها من خشية الله في الدنيا فاستخلصته من النار

١٦- ورأيت رجلا من أمتي ، قائما علي الصراط يُرْعد (٧) كما ترعد السعفة (٨) فجاءه حُسْن ظنه بالله فسكن روعه (٩) ومضي.

---

(١) الزبانية : ملائكة العذاب يجرون المذنب إلي النار

(٢) الجاني : الجالس علي ركبتيه.

(٣) من جهه شماله دليل علي سوء مصيره قال تعالي :«وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ماحسابيه، ياليتها كانت القاضية» الجاثية : آية ٢٥-٢٧

(٤) الأفراط. جمع فرط: وهو الولد الصغير الذي يموت قبل أن يدرك

(٥) حرفها وطرفها

(٦) الخوف

(٧) أخذته الرعدة من شدة الخوف

(٨) السعفة : غصن النخل

(٩) القلب والعقل

١٧- ورأيت رجلا من أمتي ، علي الصراط ، يزحف أحيانا ويحبو (١) ، فجاءته صلاته عليّ ، فأخذت بيده فأقامته ومضي علي الصراط.

١٨- ورأيت رجلا من أمتي انتهي (٢) إلي أبواب الجنة فقُفلت دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ، ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنه.

قال الحافظ أبو موسي المديني : هذا حديث حَسَنٌ جداً، وقال القرطبي : هذا حديث عظيم، وذكر فيه أعمالا خاصة تُنجي من أهوال خاصة.

* التوبة النصوح:

قال الإمام السفاريني : «ومن الأساب المنجية من عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس المسلم عندما يريد النوم .. لحظات لله .. يحاسب نفسه فيها علي ماخسره أو ربحه في يومه.. ثم يجدد له توبه نصوحا بينه وبين الله .. فينام علي تلك التوبه ويعزم علي أن لايعود إلي الذنب إذا استيقظ... ويفعل هذا كل ليلة.

فإن مات من ليلته علي توبه.. وإن استيقظ مستقبلا العمل مسروراً بتأخير الأجل. وليس للعبد أنفع من هذه التوبة لاسيما إذا اعقب ذلك بذكر الله وتلاوة الأوراد التي وردت عن رسول الله ﷺ والتي كان يتلوها عليه الصلاة والسلام قبيل النوم حتي يغلبه النوم».

* الإستشهاد في سبيل الله:

أخرج الترمذي وابن ماجه «للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعه من دمه ويري مقعده من الجنة ، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر (٣).

(١) يزحف

(٢) انتهي إلي : وصل إلي

(٣) يوم القيامة

ويوضع علي رأسه تاج الوقار الياقوته منه خير من الدنيا ومافيها ويُزَوَّج ثنتين وسبعين زوجه من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه».

وكذلك المرابط في سبيل الله ، وهو الملازم لثغر من ثغور المسلمين ليرابط فيه مدة ما ، قال رسول الله ﷺ :« كل ميت يختم علي عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلي يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر » رواه مسلم.

قال علماؤنا : فأما سكان الثغور دائما بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين

* الموت بداء البطن:

أخرج الترمذي وحسَّنهُ، وابن ماجه، والبيهقي، عن سلمان بن حرد وخالد بن عرفطه، قالا : قال رسول الله ﷺ : «من قتله بطنه (١) لم يُعذّب في قبره».

وقد جزم شيخ الاسلام ابن حجر في كتاب بذل الماعون في فضل الطاعون بأن الميت بالطاعون محتسبا يعلم أنه لايصيبه إلا ماكتب الله له إذا مات فيه بغير الطاعون لايُفْتَن أبداً لأنه نظير المرابط . لقوله ﷺ : «الطاعون شهادة لكل مسلم» رواه الشيخان.

وقال القرطبي في التذكرة : قوله عليه السلام «من مات مريضا مات شهيداً» عام في جميع الأمراض لكن قيده قوله في الحديث الآخر «من قتله بطنه»

وفيه قولان:

أحدهما : أنه الذي يصيبه الذرب وهو الإسهال ، تقول العرب : أخذه البطن إذا أصابه الداء وذرب الجرح إذا لم يقبل الدواء وذربت معدته فسدت.

الثاني : أنه الاستسقاء وهو أظهر القولين فيه، لأن العرب تنسب موته إلي بطنه

---

(١) أي مات بسبب وجع في بطنه من مغص وإسهال وقيل : المراد مرض الاستسقاء.

تقول قتله بطنه يعنون الداء الذي أصابه في جوفه، وصاحب الاستسقاء قلّ أن يموت إلا بالذرب فـمأنه قد جمع الوصفين، وغيرهما من الأمراض، والوجود شاهد للميت بالبطن إن عقله لا يزال حاضراً، وذهنه باقيا إلي حين موته، ومثل ذلك صاحب السل إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب، وليست حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة أو من يموت بالسام والحميّات المطبقة أو القولنج أو الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الآلام، ولزوم أدمغتهم، وفساد أمزجتهم، فإذا كان الحال هكذا فالميت يموت وذهنه حاضرٌ» أ. هـ .

* طول القنوت والسجود:

أخرج أبو نعيم عن سلمان الفارسي، أن بعض أهل الكتاب، أخبره عن عيسي عليه السلام، قال : طول القنوت(١) الأمان علي الصراط، وطول السجود الأمان من عذاب القبر.

* قراءة سورة المُلك:

أخرج عبد في مسنده، عن ابن عباس رضي الله عنهما. أنه قال لرجل: عليّ أتحفك(٢) بحيث تفرح به؟ قال: بلي . قال: اقرأ ﴿تبارك الذى بيده المُلْك﴾ وعلمها أهلك وجميع ولدك، وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية والمجادلة (٣) تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطالب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر.

وروي النسائي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: من قرأ ﴿تبارك الذى بيده

(١) القنوت : القيام والدعاء.

(٢) المحفك من التحفة: طرفة الفاكهة وقد تُستعمل في غير الفاكهة من لطيف العطاء.

(٣) المجادلة : المحاورة والمراجعة في الكلام دفاعا عنه.

الملك﴾ كل ليلة، منعه الله بها من عذاب القبر. وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة. (١)

وأخرج الدارمي في مسنده والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتي يقرأ ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة، و﴿تبارك المُلك﴾.

*** قراءة سورة يس:**

ذكر في روض الرياحين لليافعي عن بعض الصالحين من أهل اليمن أنه دفن بعض الموتي، فلما انصرف الناس، سمع في القبر ضربا عنيفا. ثم خرج من القبر كلب أسود. قال له الشيخ: ويحك(٢) أي شئ أنت؟ قال: أنا عمل الميت.فقال: هذا الضرب فيك أم فيه ؟ قال : بل فيَّ، وجدت عنده سورة «يس»، وأخواتها(٣) فحالت بيني وبينه، فضُربت وطُردت.

*** صلاة ركعتين بعد المغرب ليلة الجمعة بكيفية خاصة:**

أخرج الأصبهاني في الترغيب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلي بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة، يقرأ في كل ركعة منهما، بفاتحة الكتاب مرة و«إذا زلزلت» خمس عشرة مرة، هوّن الله عليه سكرات الموت، وأعاذه الله من عذاب القبر، ويسّر له الجواز علي الصراط يوم القيامة.

*** من مات يوم الجمعة أو ليلتها:**

أخرج أبو يعلي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من مات

---

(١) لأنها تمنع صاحبها من عذاب القبر.

(٢) ويحك: كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها .

(٣) أخواتها: السور الأخري التي ورد قراءتها قبل النوم مثل سورة «تبارك» و «السجدة»

يوم الجمعة، وقّى عذاب القبر»

وروي البيهقي، عن عكرمة بن خالد المخزومي قال: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، خُتم بخاتم الإيمان ووقّي عذاب القبر.

* ومن قرأ: «قل هو الله أحد» في مرض موته: لقوله ﷺ «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يُفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة بأكفها حتي تجزه من الصراط إلي الجنة» رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن الشخير.

فائدة:

قال الإمام القرطبي: إن من لا يُسأل في قبره لا يُعَذَّب فيه، وإن من نجا منه فما بعده أيسر منه.

فتنة القبر وسؤال الملكين

سؤال القبر، وسؤال الملكين حقٌّ قاله الحبيب المصطفي ﷺ، وتواترت الأحاديث الثابته الصحيحة بسنده فأصبح معلوما من الدين بالضروة، والإيمان به واجب علي كل مؤمن، وكل من أنكر ما علم من الدين بالضروة فهو غير مؤمن.

قال الترمذي: فجاءهم الأبتلاء في القبر ليظهر نصرة الله للمطيع في الحياة الدنيا الثابت في قبوله للإسلام، ويلقن الجواب عند السؤال، ويضل الله الظالم الذي كان مع النفاق أيام الحياة .. ثم قال: «وإنما ابتلوا ليميز الله الخبيث من الطيب قال الله تعالي: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾[1] ﴾

(١) آية رقم ٢٧ من سورة ابراهيم.

أخرج الشيخان (١) عن النبي ﷺ : أن الآية السابقة نزلت في عذاب القبر وسؤاله، وزاد مسلم: «يُقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد فذلك قوله: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت }.

وفي رواية البخاري: «إذا قعد المؤمن في قبره أوتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.

وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري، عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قد أوحي إلي أنكم تُفتنون في القبور، فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن، فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدي، فأجبنا واتبعنا فيقال له: قد علمنا إن كنت لمؤمنا، ثم صالحا، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: ما أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

وقد يسأل سائل: ما الحكمة عند سؤال الميت بعد أن عرف منزلته، وبعد أن بان له الحق وظهر له ما جنت يداه، وبعد أن سبق في علم الله إيقان المؤمن وإيمانه، وانحراف الكافر وجنوحه بدليل قوله ﷺ في الحديث السابق «قد علمنا أن كنت لموقنا» ؟

والجواب : إن الحكمة من سؤال القبر هو إظهار عدالة الله التي تقيم الحساب وتنصب الميزان علي الرغم من وضوح الرؤية وانكشاف الحق.

وأخرج الترمذي وحسّنه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا قُبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان،يُقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له:ماكنت تقول في هذا الرجل؟فيقول ماكان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ، ثم ينور له فيه فيقال له: نم

(١) البخاري ومسلم.

فيقول: ارجع إلي أهلي فأخبرهم، فيقولون له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتي يبعثه الله من مضجعه ذلك - فإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون ، فقلت مثله، لا أدري فيقولون: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف (١) أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتي يبعثه الله من مضجعه ذلك».

وأخرج أبو النعيم والبيهقي عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «يا عمر ، كيف بك إذا مت، فقاسوا لك ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر، ثم رجعوا إليك وغسّلوك وكفنوك وحنطوك، ثم احتملوك حتي يضعوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر: منكر ونكير، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فتلتلاك، وثرثراك، وهولاك، فكيف بك عند ذلك يا عمر؟ قال يارسول الله ومعي عقلي؟ قال : نعم. قال: إذن أكفيكهما (مرسل رجاله ثقات) قال في الصحاح : تلتله: أي زعزعه وأقلقه وزلزله، وهو بمثناتين. والثرثرة : بمثلثتين: كثرة الكلام وترديده ، والتهويل: التقريع.

وفي رواية أبي داود والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كيف إذا كنت في أربعة أذرع في ذراعين، ورأيت منكراً ونكيراً؟ قلت يا رسول الله، وما منكر ونكير؟ قال: «فتانا القبر(٢) يحتّان(٣) الأرض بأنيابهما ويطأن في أشعارهما(٤)، أصواتهما كالرعد القاصف. وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مرزبة (٥) لو اجتمع عليها أهل مني لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من

---

(١) ينصرف كل منها عن الآخر ، كناية عن شدة الضغط.

(٢) هما منكر ونكير

(٣) يحتان الأرض بأنيابهما لشدة طولهما

(٤) اشتد طول أشعارهما فبلغ الأرض حتي إن الواحد منهما ليدوس علي شعره وهو يمشي في طريقه.

(٥) مطرقة كبيرة يُكسر بها المدر.

عصاي هذه، فامتحناك، فإن تعاييت (١) أو ناويت (٢) ضرباك بها ضربة تصير بها رماداً قلت: يا رسول الله. وأنا علي حالي هذه؟ قال: نعم قال: إذن أكفيكهما.

وفي رواية قال عمر: أترد علينا عقولنا يا رسول الله فقال ﷺ: نعم كهيأتكم اليوم.

قال الحكيم الترمذي عن «منكر ونكير» إنما سُمّيا (فتاني القبر) لأن في سؤالهما انتهاراً، وفي خلقهما صعوبة ، لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق الهوام، بل هما خلقٌ غريب، ليس في خلقهما أُنس للناظرين إليهما، وجعلهما الله سبحانه وتعالي تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصّره، وهتكا لستر المنافق في البرزخ».

وسؤال القبر عام للإنس والجن لأنهم خلقٌ مكلّفون مثلنا قال تعالي ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾آية ـ ٥٦ـ (الذاريات) وأن الذي يطيع منهم ربه وخالقه، ويؤمن به يدخل الجنة وينعم فيها كالإنس – قال تعالي: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾آية ـ ٤٦ ـ٤٧ ـ (الرحمن) .

وقد قال الرسول ﷺ لأصحابه لما تلا عليهم سورة الرحمن : «الجن كانوا أحسن رداً أو جوابا منكم ما تلوت عليهم من آية إلا قالوا: ولا شئ من آلاء ربنا نكذب» قال العلماء: وهذه الآية ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ من أدل دليل علي أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا.

فإن قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتي في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟

فالجواب قال القرطبي: أن عظم جثتهما يقتضي ذلك، فيخاطبان الخلق الكثير، في الجمعة الواحدة، في المرة الواحدة، مخاطبة واحدة، بحيث يُخيل لكل واحد من

(١) عجزت عن البيان.

(٢) باعدت.

المخاطبين أنه المخاطب دون سواه، ويمنعه الله تعالي من سماع جواب بقية الموتي. قال السيوطي: ويُحتمل تعدد الملائكة المعدّة لذلك، كما في الحفظة ونحوهم، ويري الحليمي (من أصحاب السيوطي) في منهاجه: ان ملائكة السؤال جماعة كثيرة، يُسمي بعضهم منكراً، وبعضهم نكيراً، فيُبعث إلي ميت اثنان منهم، كما كان الموكل عليه لكتابة أعماله ملكين.

انتهي.

قال الحكيم الترمذي: سؤال القبر خاص بهذه الأمة لأن الأمم قبلها كانت تأتيهم الرسل بالرسالة، فإذا أبو كفّت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب. فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرحمة، أمسك عنهم العذاب، وأعطي السيف حتي يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الإيمان في قلبه. فمن هنا ظهر النفاق، فكانوا يسرّون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر[1] ليستخرج سرهم بالسؤال، ليميز الله الخبيث من الطيب، وخالفه آخرون فقالوا: السؤال لهذه الأمة وغيرها. قال ابن عبد البر: ويدل للاختصاص قوله: «إن هذه الأمة تُبْتَلى في قبورها» وقوله: «أوحي إلي أنكم تُفتنون في قبوركم».

وقوله: «فيَّ تُفتنون وعني تُسألون».

أما عن كيفية السؤال والجواب:

فذلك بحسب الأشخاص أيضا، فمنهم من يُسأل عن بعض اعتقاداته، ومنهم من يُسأل عن كلها، ويؤخذ من رواية أبي داود عن أنس: فما يُسأل عن شئ بعدها، ولفظ ابن مردويه: فلا يُسأل عن شئ غيرها، أنه لا يُسأل عن شئ من التكليفات غير الاعتقاد خاصة، وصرح في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في

(١) فتاني القبر: هما منكر ونكير.

قوله تعالي: ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ . قال : الشهادة يُسألون عنها في قبورهم بعد موتهم. قيل لعكرمة: ما هو؟ قال: يُسألون عن الإيمان بمحمد، وأمر التوحيد.

قال الحافظ السيوطي في منظومته

وليس عن غير اعتقاد يُسأل أتي بهذا خير مفصّل.

لغة القبر:

اللغة التي يُسأل بها الميت هي لغته التي يتكلم بها ويخاطب بها في حياته علي القول الصحيح وعليه المعمول عند السلف الصالح وظواهر الأحاديث تشهد له.

وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي «أنه وقع في فتاوي شيخه (علم الدين البلقيني) : أن الميت يجيب السؤال باللغة السريانية» قال الحافظ: «ولم أقف لذلك علي مُستند» وقال في منظومته:

ومن عجيب ما تري العينان أن سؤال القبر بالسرياني

أفتي بهذا شيخنا البلقيني ولم أره لغيره بعيني

روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺقال « العبد إذا وُضع في قبره وتولي عنه وذهب أصحابه حتي إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له:ما كنت تقول في هذا الرجل .. الحديث .. يؤخذ من هذه الأحاديث أن سؤال الميت يكون عقب دفنه مباشرة من غير تفرقة بين من نقل من قبره ومن لم يُنقل.

هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

أجاب ابن القيم بأنه نوعان (نوع دائم) يكون للكفار وعُصاة المؤمنين الذين كثرت جرائمهم، وعظمت ذنوبهم وآثامهم، ولا يُرفع عنهم العذاب إلا بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم يقولون « يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا » (١)

فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون: ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

والأدلة علي دوام العذاب كثيرة منها: قوله تعالي ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾(٢) أي صباحا ومساءً إلي يوم القيامة بدليل قوله بعد ذلك ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الجريدتين لعله يُخفف عنهما مالم ييبسا، فجعل التخفيف مقيداً برطوبتهما فقط.

وفي حديث البراء برواية الإمام احمد في قصة الكافر - وهي قوله عليه الصلاة والسلام: «فافرشوه من النار وافتحوا له بابا إلي النار فيأتيه من حرّها وسمومها .. الحديث.

النوع الثاني: عذاب منقطع : يكون لعُصاة المؤمنين الذين خفّت جرائمهم فيُعذّب بحسب جُرمْه، ثم يُخفّف عنه كما يُعذّب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب.

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب حج، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم.

من بعد إذنه سبحانه وتعالي إذا أراد أن يرحم المشفوع له قال تعالي: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٣)، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (٤)، ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا

(١) سورة يس : الآية ٥٢

(٢) سورة غافر: الآية ٤٦.

(٣) البقرة : آية ٢٥٥.

(٤) الأنبياء: آية ٢٨.

مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾(١) - ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾(٢) - ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ﴾ (٣)

وقد ذكر ابن أبي الدنيا فيما يرويه محمد بن موسي الصائغ عن عبد الله بن نافع قال: مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار فاغتمّ لذلك ثم رآه بعد ذك كأنه من أهل الجنة، فقال: ألم تكن قلت: إنك من أهل النار، قال: قد كان ذلك، إلا أنه دُفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيران فكنت أنا منهم

وقال بشار بن غالب: رأيت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعاء لها، فقالت لي: يا بشار بن غالب: هداياك تأتينا علي أطباق منور مخمّرة بمناديل الحرير. قلت: كيف ذلك؟ قالت: هكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتي استُجيب لهم، وجُعل ذلك الدعاء علي أطباق النور، وخُمّرَ بمناديل الحرير ثم أتي بها الذي دُعي له من الموتي فقيل: هذه هدية فلان إليك.

---

(١) يونس: آية ٣

(٢) سورة سبأ: آية ٢٣

(٣) الزمر: آية ٤٤.

الفصل الرابع

الروح

يُحسب للعلم الحديث أنه قد وصل إلي حقيقة تكوين الإنسان من جسد وروح عن طريق الدراسات الفلسفية والمنطقية وأيدها بالوسائل العلمية الحديثة عن طريق إخضاع أبحاثها للتجربة والقياس والتصوير، وتستخدم بعض الجامعات حاليا مواداً خاصة لإجراء البحوث الروحية كحبوب تُعطي لتنشيط ما يُسمي بالحاسة السادسة .. وهو ما يؤكد العلم الروحي الحديث أنها حاسة الروح. وكذلك لخلق (التلبثي) وهو اتصال عقل بآخر بعيداً عن وسائل الحس المعروفة .. والجلاء البصري وهو قدرة الإنسان علي الرؤية بشكل يخالف الطبيعة وبدون استعمال الحواس العادية فيخترق الإنسان ببصره الحجب المعتمة ويري ما وراءها متعديا حدودالفضاء والزمن .. والجلاء السمعي وهو قدرة الإنسان علي إدراك تأثيرات صوتية لا تتقيد بالزمان والمكان ودون استعمال جهاز السمع العادي .. والسيكومتري وهو تقصي أثر شخص بطريقة حاجة من حاجاته .. وكل هذا إنما يؤكد وجود روح للإنسان تختلف في قدرتها كثيراً عن قدرة الجسم.

وإذا كان العلم الحديث قد وصل إلي هذه الحقيقة، فقد اجتهد العلماء المسلمون في أبحاثهم عن الروح مهتدين بهدي القرآن الكريم ومسترشدين بأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، فوصلوا إلي أكثر مما وصلت إليه الأبحاث والدراسات العلمية من تأكيد تكوين الإنسان من جسم وروح فنجد حجة الإسلام الإمام الغزالي في كتابه (المضمون الصغير) يقول: «إن سر الروح لم يؤذن رسول الله ﷺ في كشفه لمن ليس له أهلا. فإن كنت من أهله فاسمع. اعلم أن الروح ليس بجسم يحل حلول الماء في

الإناء، ولا هو عَرضَ محله القلب والدماغ، ولا هو حلول السواد في الأسود، والعلم في العالم. بل هو جوهر وليس بعرض يعرف نفسه خالقه ويدرك المعقولات وقد منع رسول الله ﷺ وفي الفوز الأصغر يقول ابن مسكويه: (إن النفس ليست بجسم ولا عَرَض بل جوهر قائم بنفسه واستدل له بأن الجسم إذا قبل صورة لم يمكنه أن يقبل صورة أخري من جنسها إلا بعد أن يخلع الصورة الأخري).

ويقول الإمام الرازي: (إن الإنسان ليس عبارة عن هذه البنية لأن أجزاءها تتحلل وتستبدل، والإنسان باق من أول عمره إلي آخره ويؤكد أنه يسمن ويهزل ويكبر بعد الصغر. وكذلك لأن الإنسان قد يكون عالما بنفسه حال غفلته عن جميع أجزائه وأعضائه، والمعلوم مغاير لغير المعلوم ثم ولأن المحسوس هو السطح واللون ومعلوم أن الإنسان غيرهما).

ويقول الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن القيم في كتابه (الروح) عن تعريفه للروح (إنه جسم مخالف بالماهية عن هذا الجسم المحسوس «البدن»، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي مشابكا لهذه الأعضاء، وأفاها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية.

وإذا فسدت هذه الأعضاء، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلي عالم الأرواح. وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وعليه دلّ الكتاب والسُّنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة). ووافقه الإمام مالك وجمهور المتكلمين والصوفيه، وإمام الحرمين وأقام عليه ابن القيِّم أكثر من مائة دليل في كتاب الروح ثم قال: وكل ما يؤثر عن العلماء في معني الروح إنما هو من قبيل ذكر الأوصاف التي هي من باب الآثار والأحكام، لا من قبيل

الكشف عن الحقيقة الذاتية، لأن الروح مما استأثر الله بعلمه فلا تحيط به العقول البشرية، ولذلك لما سأل اليهود ورسول الله ﷺ عن حقيقة الروح، امتحانا لرسول الله، وتعجيزاً له لم يجبهم بالحقيقة بل أجيبوا بقول الله عزّ وجل: ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ أي أن العلم بحقيقة الروح وكنهها من شأنه تعالي وحده.

وفي فتوي للشيخ محمد حسين مخلوف والتي نشرتها وزارة الأوقاف يقول ما نصه (ينبغي أن يُعلم أن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة اختلافا كثيراً في أحواله وأطواره، فالروح يسلكها الله تعالي في البدن في الدنيا فتوجب له حساً وحركة وعلما وإدراكا ولذة وألما ويُسمي بذلك حياً. ثم تفارقه في الوقت المقدر أزلا لقطع علاقتها به فتبطل هذه الآثار ويفني هيكل البدن ويصير جماداً ويُسمي عند ذلك ميتا، ولكن الروح تبقي في البرزخ وهو ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة من يوم الموت إلي يوم البعث والنشور حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح في مُلك الله حيث أراد وقدّر، وتتصل بالأرواح الأخري وتناجيها وتأنس بها سواء أكانت أرواح أحياء أم أرواح أموات، وتشعر بالنعيم والعذاب واللذة والألم بحسب حالتها وما كان لها من عمل في الحياة الدنيا وترد أفنية القبور، وتأوي إلي المنازل، وهي في كل ذلك لطيفة لا يحدها مكان ولا يحصرها حيِّز ولا تُري بالعين والالات كما تري الماديات، وقد يأذن الله لها وهي في عالم البرزخ أن تتصل بالبدن كله أو بأجزائه الأصلية إتصالا برزخيا خاصا كالاتصال الدنيوي يشبه اتصال أشعة الشمس وأضواء القمر بالعوالم الأرضية وهو اتصال إشراق وإمداد فيشعر البدن كذلك بالنعيم والعذاب ويسمع ويجيب بواسطة الروح. وقد لا يأذن الله لها بالاتصال بالبدن فتشعر الروح بذلك كله شعوراً قويا ويستمر ذلك الشأن لها إلي ما شاء الله حتي يوم البعث والنشور. هذا هو مذهب جمهور أهل السُّنة وبه وردت الأحاديث والآثار).

الروح في القرآن الكريم:

الروح سر الوجود، وأصل الحياة، ومبعث الحركة إذا سكنت دبّ الموت في الأحاسيس والمشاعر وفي الأفئدة والأبدان، فعطلها وأخمدها، وإذا انسلت نشر الفناء رداءه، فوأد الحيوية وشلّ الحركة وأباد الحس وبرد البدن.

ومنزّل القرآن يقول لمن نزل عليه القرآن - ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(1)

وكما أطلق الله تبارك وتعالي علي القرآن «روحا» أطلق كذلك علي الإنجيل هذا الوصف فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(2)

والقدس: هو الله، وروح القدس هو وحي الله،هو كتاب الله المقدس،هو الإنجيل.

وكما يُطلق روح القدس علي الانجيل، يُطلق كذلك في القرآن ويُراد به الروح المقدسة المطهرّة، روح عيسي عليه السلام نفسه، تلك الروح القوية التي لم يكن للشيطان سيطرة عليها ولاحظ فيها. قال تعالي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(3) وقد أُضيف إليه تعالي ﴿روح منه﴾ تشريفا لسيدنا عيسي عليه السلام.

وقد يُطلق الروح في القرآن ويُراد به مُطلق الوحي الإلهي ذلك الوحي الذي يحيي المجتمع ويقوم فيه مقام الروح في الجسد والذي تتنزل به الملائكة، رسل الله إلي أنبيائه ورسله الذين يصطفيهم ويختارهم من عباده. قال تعالي ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾(4)

---

(1) الشوري: آية ٥٢. روحا أي قرآنا

(2) آية ٨٧ من سورة البقرة.

(3) النساء: آية ١٧١.

(4) النحل: آية ٢

وقال تعالي : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ (١)

وقد يُطلق الروح ويراد به «الواسطة» بين الله وبين رسله وأنبيائه وهو الملك «جبريل» عليه السلام الذي أبلغ المختارين للرسالة والمصطفين للنبوة وحي ربهم وهدي مرسلهم وباعثهم : قال تعالي : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٢)

وقد تُضاف صفة «القدس» إلي لفظة «الروح» فيراد بها أيضا «الملك جبريل» عليه السلام : قال تعالي : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٣)

وعن إرسال جبريل عليه السلام إلي مريم عليها السلام يقول الحق تبارك وتعالي : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ (٤)

وقال الله تبارك وتعالي : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥) وقال تعالي : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (٦)

وادم عليه السلام نفخ الله فيه من روحه عن ذلك تقول آية من سورة الحجر ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (٧)

* وعن الليلة التي كلها بركة للصائم العابد ، وسلام له وعليه ليلة القدر التي تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، يقول الحق تبارك وتعالي : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ

---

(١) سورة غافر : آية ١٥

(٢) اسورة لشعراء : آية ١٩٢

(٣) سورة النحل : آية ١٠٢

(٤) سورة مريم : آية ١٧

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٩١

(٦) سورة التحريم: آية ١٣

(٧) سورة الحجر : آية ٢٩

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝﴾ آية ١-٥ (القدر)

* وعن مشهد أخروي من مشاهد يوم القيامة تحدثت سورة المعارج. قال تعالي: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝﴾ آية ١-٤ .

وقد يُراد بها «نصر الله» الذي يؤيد الله به من يشاء من عباده قال تعالي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾(١)

والإمام المفسّر الشيخ «محمد عبده» ، وهو من أئمة التفسير في العصر الحديث، يتجه مع هؤلاء المفسرين الذين قالوا : إن في القرآن الشريف المعجز أوصافا وعبادات ومعاني تتحدي عقول البشر وأفهامهم، وترتفع علي مداركهم ومدركاتهم، من حيث تبيان حقيقة معناها، ومن حيث إبراز المعني الوضعي الذي أراده الله لها .. فجعل الإمام - رحمه الله - لفظي «الروح» و «الملائكة» من هذا القبيل في تلك الآية القرآنية التي تقول:

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ آية - ٣٨ - (النبأ)

فقال في تفسيره :«والروح والملائكة من مخلوقات الله المغيبة عنا، التي لانكلف بالبحث عن حقيقتها، وقيامها، واصطفافها علي النحو الذي يليق بها.

هذه هي المعاني العديدة التي وردت للفظة «الروح» في القرآن .

أما حقيقة الروح، وماهيتها، ومفهومها، ومكوناتها، فهي بهذه المعاني كلها من أمر الله لايعلم حقيقتها إلا الله مصداقا لقوله تبارك وتعالي :﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ۝﴾ آية - ٨٥ (الإسراء)

---

(١) آية ٢٢ من سورة المجادلة.

حدوث الروح، وهل الروح موجودة قبل الجسد أو بعده؟

أجمع العلماء علي حدوث الروح كسائر أجزاء العالم الذي قام الدليل علي حدوثه لكنهم اختلفوا بعد ذلك.

هل الروح موجوده قبل الجسد أو بعده؟

فذهبت طائفة إلي تقدم خلقها قبل البدن، منهم محمد بن نصر المروزي، وأبو محمد بن حزم الأندلسي وغيرهما

واستدلوا علي ذلك بقوله تعالي: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (١) قالوا: ثم للترتيب والمهلة، فقد تضمنت الآية أن خلقها مقدم علي أمر الله للملائكة بالسجود لآدم، ومن المعلوم قطعا أن أبداننا حادثة بعد ذلك فعُلِم أنها الأرواح. ويدل عليه أيضا قوله سبحانه وتعالي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (٢) قالوا: وهذا الاستنطاق والإشهاد إنما كان للأرواح إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة.

ويشهد لذلك ماروا الحاكم عن أبي بن كعب في قوله تعالي: ﴿وإذ أخذ ربك..﴾ الآية قال: جمعهم له يومئذ جميعا ماهو كائن إلي يوم القيامة فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق .. الحديث.

* واستدلوا أيضا بما رواه عمرو بن عبسه مرفوعا: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام، فما تعارف منها أئتلف، وماتناكر منها أختلف».

ولكن هذا الحديث، والحديث الذي سبقه غير صحيحي الإسناد لأن الأول فيه أبو جعفر الراوي. قال علي بن المديني: كان يخلط، وقال ابن معين: يكتب حديثه إلا أنه يخطيء، وقال الإمام أحمد: ليس بقوي في الحديث، وقال الفلاسي: سيئ الحفظ.

---

(١) سورة الأعراف: آية ١١.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٢.

وكان ابن حبان: ينفرد بالمناكير عن المشاهير

فلا يصح الاحتجاج بهذا الحديث.

أما الحديث الثاني فهو أيضا غير صحيح الإسناد ، لأن فيه عتبه بن السكن، قال الدار قطني : إنه متروك ، وقال البيهقي : إنه منسوب إلي الوضع «الكذب» ، وفيه أيضا أرطأه بن المنذر .. قال ابن عدي : بعض أحاديثه غلط، وفيه عطاء بن عجلان، أطلق عليه ابن معين والفلاس وغيرهما الكذب، وبذلك لايصح الاحتجاج بهذا الحديث.

أما استدلال محمد بن حزم بقوله تعالي :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لآدم﴾ (١) فما أليق هذا الإستدلال بظاهريته لترتيب الأمر بالسجود لآدم علي خلقنا وتصورنا، والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح. وذلك متأخر عن خلق آدم ، ولهذا قال ابن عباس :«ولقد خلقناكم» يعني آدم «ثم صوّرناكم» لذريته. ومثال هذا ماقاله مجاهد :«خلقناكم» يعني آدم و«صوّرناكم» في ظهر آدم، وإنما قال «خلقناكم» بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما تقول ضربناكم وإنما ضربت سيدهم.

وقد بينّه مجاهد حين قال : إن الله تعالي خلق ولد آدم وصورهم في ظهره، ثم أمر بعد ذلك بالسجود، قال : وهذا بين في الحديث وهو أنه أخرجهم من ظهره في صور الذّر يقول المصطفي صلوات الله عليه فيما يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنهما :«إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفه، فأخرج من صُلبْه كل ذريه ذراها فنشرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون» أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن جرير وابن حاتم والحاكم في مستدركه.

(١) سورة الأعراف : الآية ١١

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ قال : أخذ من ظهره كما يأخذ بالمشط من الرأس . فقال لهم : ألست بربكم؟ قالوا : بلي، قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» رواه ابن جرير.

ويمكن أن يرد علي هذا:

بأن المعني : أن الله أخرج ذرياتهم من ظهورهم بالولادة، وأنشأهم (شيئا فشيئا) بعد أن كانوا نطفا في أصلاب الآباء إلي الدنيا علي ترتيبهم في الوجود، وأشهدهم علي أنفسهم أنه ربهم بما أظهر لهم من آياته وبراهينه الدالة علي أنه خالقهم ، فليس من أحد إلا وفيه من صنعة ربه مايشهد علي أنه بارئه ونافذ الحكم فيه، فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل مايرون ويشاهدون إلي التصديق له كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين علي أنفسهم بصحته.

وأما الذين رأوا أن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها مثل الإمام الغزالي (١) وغيره فقد استدلوا بالحديث الصحيح الذي رواه الشيخان واللفظ لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : ﴿إن أحدكم يُجمع خلقه أربعين يوما، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح﴾

وجه الاستدلال في هذا الحديث أن الروح لو كانت مخلوقة قبل البدن لقيل ثم يرسل إليه الملك بالروح فيدخلها في بدنه وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه.

ويمكن أن يُرد علي هذا الرأي بأنه هناك فرق بين نفخ الروح وخلقه، فالروح مخلوقة من زمن طويل، وأرسلت مع الملك بعد تصور البدن لإدخالها فيه، كما أنه

(١) الإمام الغزالي : هو أبو حامد بن محمد الغزالي، حجة الإسلام، وصاحب كتاب «إحياء علوم الدين»، ولد عام ٤٥٠هـ بمدينة طوس بخراسان وتوفي بها عام ٥٠٥ هـ.

ليس في الحديث أكثر من أن نفخ الروح في الجسد يكون بعد تسويته، والمفهوم من نفخ الروح في البدن تحصيل آثارها فيه .

وبعد فقد تعارضت الأدلة في ذلك، ولامرجح لأحدها، علي أن علماء المسلمين، وإن اختلفوا في الظاهر حول هذه الاحتمالات، إلا أنهم في أعماقهم مؤمنون كل الإيمان بأن هذه الأمور إنما تتلقي بالسماع عن الرسول ﷺ وماورد عنه فيها من أقوال، وأن هذا يزيد من إيماننا القوي بأن الروح من أمر الرب سبحانه وتعالي يعرف وحده حقيقتها كما أخبر عنها في قوله تعالي ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ ـ آية ـ ٨٥ ـ (الإسراء)

ميثاق النبيين :

وكما جمع الله سبحانه الخلق للإقرار بوحدانيته، جمع الرسل في الأزل كذلك للإقرار برسالة خاتمهم وأميرهم محمد ﷺ، للتبشير به في أممهم، وليؤمنوا به هم وشعوبهم ان أدركوا عهده، وينضموا تحت لوائه إن عاصروه.

وكما شهد الرسل والأنبياء لمحمد عليه السلام بالرسالة والإمارة والخاتمة، وشهدوا علي أنفسهم، خُتم هذا الميثاق بقول الله لهم :﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ أي من الشاهدين لمحمد ﷺ بالرسالة والنبوة والخاتمة.

عن هذا الميثاق تقول الآيات من سورة آل عمران :﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

آية ـ ٨١ ـ (آل عمران)

عن منشأ هذه الحياة الأولي التي تمت فيها هذه المواثيق وتلك العقودو العهود يحاول بعض الناس تحكيم العقل، والتصور عن هذه الحياة وعن أجوائها، ويحاول أن

يزج بما يسميه «حرية البحث العقلي» ، بيد أنه لامجال للعقل البشري ولالتصوره في هذا المجال.

فالعقل قاصر لايدل إلا على قاصر مثله، عاجز عن إدراك هذه الأمور الغيبية، فلا مناص إلا بالتسليم بهذه الأمور وبخاصة تلك التي ورد فيها نص قرآني :

وهاهو ذا وميض قرآني ألقي الضوء في إيجاز وتركيز علي حياة ماقبل الحياة، يقول الله تعالي :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (١)

فهذا الترتيب الإلهي ينبيء بأن الخلق كان أول الأمر.. ثم بعد الخلق كان التصوير، وكان ذلك قبل ظهور آدم في الجنة. ثم كان الأمر بالسجود ، سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس الذي ترتب عليه طرده من الجنة وابتداء الحياة البشرية.

هل الروح تموت أو أن الموت للبدن وحده؟

اختلف العلماء في هذا، فقالت طائفة : تموت الروح وتذوق الموت لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت . واستدلوا علي ذلك بما دلت عليه الأدلة والبراهين أنه لايبقي إلا الله وحده تعالي :﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢) وقال تعالي :﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٣) .قالوا:وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولي بالموت وقد قال الله تعالي﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾(٤)، فالموتة الأولي هذه المشهودة وهي للبدن والأخري للروح.

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١١ . وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: (معناها : خلقناكم في ظهر آدم ، ثم صوّرناكم حين أخذنا عليكم الميثاق.. ويذهب مجاهد إلي أنه خلقهم في ظهر آدم ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق.. ثم كان السجود بعد...).

(٢) سورة الرحمن : آية ٢٧ .

(٣) سورة القصص : آية ٨٨

(٤) سورة غافر : آية ١١

وقال آخرون: لاتموت الأرواح، فإنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، وقد دلت علي هذا الأحاديث الدالة علي نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلي أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب . وقد قال الله تعالي ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾[1] هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت.

والصواب أن يقال : موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت،وإن أريد أنها تضمحل وتصير عدما محضا فهي لاتموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب كما صرح به النص حتي يردها الله في جسدها، وقد نظم أحمد بن الحسن الكندي هذا الاختلاف في قوله.

تنازع الناس حتي لااتفاق لهم ... إلاعلي شجب والخلف في الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فإن قيل : فعند النفخ في الصور هل تبقي الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا؟ قيل : قد قال الله تعالي :﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[2]

فقد استثني الله سبحانه بعض من في السموات ومن في الأرض من هذا الصعق.

فقيل هم : الروح، وعجب الذَّنَبَ[3] من كل جسد، والعرش، والكرسي، واللوح،

---

(١) سورة : آل عمران : آية ١٦٩

(٢) سورة الزمر : آية ٦٨

(٣) العجب في اللغة: مؤخر كل شيء وعجب الذنب معناه عجب شبيه بالذنب وهو عظم كالخردله في آخر السلسلة الظهرية في العصعص، مختص بالإنسان كمغرز الذنب للدابة . واختلف في بقائه وفنائه، والصحيح أنه لايفني ولايبلي لحديث الصحيحين (ليس من الإنسان شيء إلا يبلي إلا عظما واحداً وهو عجب الذنب، منه خلق الخلق =

والقلم، والجنة، والنار، وأجساد الأنبياء عليهم السلام والشهداء وغير ذلك، وقد نظم الحافظ السيوطي ثمانية منها فقال:

ثمانية حُكــم البقـــاء يعمها   من الخلق والباقون في حيِّز العدم

هي العرش والكرسي نار وجنة   وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وقيل المستثنيات : رضوان خازن الجنة،والحور العين ، ومالك خازن النار والزبانية التسعة عشر ملكا، وقيل غير ذلك.قال الشيخ أبو عباس القرطبي : والصحيح أنه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل.. هذا ولكل جسد روح واحدة علي الصحيح.

النفس و الرُوح

اختلف العلماء في النفس والروح، هل هما شيء واحد أو شيئان متغايران ؟ فذهبت طائفة إلي أن المسمي لهماواحد، وعليه فالنفس والروح مترادفان علي معني اللطيفة الربانية التي بمفارقتها يموت الإنسان، لايتغيران إلا في التذكير والتأنيث، فالنفس مؤنثة وقد تذكر علي إرادة الروح، والروح مذكر وقد يؤنث علي إرادة النفس.

وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن، وتجمع علي أرواح قال الشاعر:

إذا ذهبت الأرواح من نحو أرضكم   وجدت لمسراها علي كبدي بردا

وكذلك سميت النفس روحا لحصول الحياة بها، وسميت نفسا إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج فلكثره خروجها ودخولها

= ومنه يركب) .. واختلف العلماء هل بقاؤه تعبدي أو معلل بجواز كونه جُعل علامة للملائكة. الموكلين بالإعادة علي إحياء كل إنسان بأعضائه الأصلية التي كانت في الدنيا ، ولكن هذا التعليل ضعيف لأن الملائكة لايخفي عليهم هذا الأمر.

وبذلك يكون الأرجح في بقائه أنه تعبدي.

في البدن سُميت نفسا، ومنه النفس بالتحريك، فإن العبد كلما نام خرجت منه فإذا استيقظ رجعت إليه ، فإذا مات خرجت خروجا كليا، فإذا دُفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بُعث رجعت إليه.

فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لافرق بالذات، وإنما سُمي الدم نَفْسا لأن خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس، وأن الحياة لاتتم إلا به كما لاتتم إلا بالنفس، ويقال فاضت نفسه وفارقت نفسه، وخرت نفسه، كما يُقال خرجت روحه وفارقت.

وقد يقال أن تلك اللطيفة الربانية روحا باعتبار أن بها حياة الجسم، ونفسا باعتبار شهوتها.. فإن النفس تطلق أيضا علي المعني الجامع لقوة الشهوة والغضب.. وسائر الصفات الذميمة في الإنسان. وهذا الإنطلاق يكثر تداوله علي ألسنة الصوفية، يقولون :(لابد من مجاهدة النفس وكسرها). ومن السابقين إلي القول باتحادهما الإمام الغزالي بل زاد عليهما : القلب والعقل والسر وقال : خمستها بمعني واحد، ووافقه علي ذلك المحققون من الصوفيه. واستدلوا عُلي ذلك بقوله تعالي:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾(١)وقوله تعالي ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ (٢)وقوله تعالي:﴿ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ (٣) .

وماروي عن أم سلمة رضي الله عنها في صحيح مسلم ، قالت : دخل رسول الله ﷺ علي أبي سلمة، وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قُبض تبعه البصر» ونظيره ماجاء في قصة نومه ﷺ ، ونوم أصحابه في الوادي، وهم راجعون من غزوة خيبر عند صلاة الصبح حتي طلعت الشمس وحميت، وكان قد أمر بلالا أن يرقب لهم الفجر فنام الجميع، ولما استيقظ النبي ﷺ قال :«إن الله قبض أرواحنا ،

---

(١) سورة الفجر : آية ٢٧

(٢) سورة : الأنعام : آية ٩٣

(٣) سورة النازعات : آية ٤٠

وقال لبلال: ماذاصنعت بنا يابلال؟ فقال : أخذ بنفسي يارسول الله الذي أخذ بنفسك.

فتأمل يا أخي وفقني الله وإياك هذا الحديث وما قبله يرشدك (كما قال القرطبي في تذكرته) إلي أن الروح والنفس شئ واحد وأنه جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج، وفي أكفانه يلف ويدرج، وبه إلي السماء يعرج. لا يموت ولا يفني، وهو مما له أول وليس آخر، وهو بعينين ويدين، وأنه ذو ريح طيب وخبيث وهذه صنعة الأجسام لا صنعة الأعراض.

وكل من يقول: إن الروح يموت ويفني فهو ملحد، وكذلك من يقول بالتناسخ: أنها إذا خرجت من هذا رُكبت في شئ آخر: حمار أو كلب أو غير ذلك، وإنما هي محفوظة بحفظ الله إما منعّمة، وإمّا معذّبة .. أ. هـ .

وقالت فرقة أخري من أهل الحديث والفقه والتصوف: الروح غير النفس، وقال مقاتل بن سليمان: للإنسان حياة وروح ونفس. فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيري الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقي الحياة والروح في الجسد، فيهما يتقلب ويتنفس، فإذا حُرِّك رجعت إليه أسرع من طرفة عين. فإذا أراد الله أن يميته في المنام، أمسك تلك النفس التي خرجت. وقال أيضا: إذا خرجت نفسه، فصعدت، فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح وتخبر الروح القلب، فيصبح ويعلم أنه قد رأي كيت وكيت

وذهب البعض إلي أن الروح هو النَفَس المتردد في الإنسان، والنَفْس أمرٌ غير ذلك لها يدان ورجلان ورأس وعينان، وهي تتلذذ وتتألم وهي التي تتوفي عند النوم، وتخرج وتسرح وتري الرؤيا، ويبقي الجسم دونها بالروح فقط.

وقال بعضهم: النفس طينية نارية، والروح: نورانية روحانية.

وقال بعضهم: الروح لاهوتية والنفس ناسوتية.

وقال بعضهم: الأرواح من أمر الله أخفي علمها وحقيقتها علي الخلق.

والصحيح أن الروح والنَفْس شئ واحد وأنهما متحدان ذاتا، وقد يختلفان في الصفات، وهذا الشئ هو الجوهر المشرق الذي به حياة البدن، والجسم اللطيف النوراني العلوي الذي يسري في البدن سريان الماء في الورد[1] والنار في الفحم، والدهن في اللوز، لا يتبدل ولا يتحلل حتي إذا قُطع عضو من البدن انقبض ما فيه إلي جميع الأعضاء، حامل لصفات الكمال من العقل والفهم، وهذا هو الذي دلت عليه الآثار الصحيحة كما علمت .. وتدل عليه اللغة العربية، جاء في مختار الصحاح، اللغة في مادة (راح وأصلها روح)، وقال ابن الأنباري وابن الأعرابي: أن (الروح والنَفْس واحد) غير أن العرب تذكرٌ الروح وتؤنث النَفْس.

الأرواح تتعارف وتتآلف

قال ائمة التفسير: إن هذه المصاحبة، وتلك المعّية ثابتة في الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحّب في هذه الدور الثلاثة مصداقا للحديث الشريف «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» وقد أختُلف في معني الحديث فقيل هو إشارة إلي معني التشاكل في الخير والشر، والصلاح والفساد، وأن الخيِّر من الناس يحن إلي شكله، والشرِّير يميل إلي نظيره، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جعلت عليها من خير أو شر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت. وقيل المراد الإخبار عن بدء الخلق، علي ما ورد، أن الأرواح خُلقت قبل الأجساد بألفي عام، فكانت تلتقي فتشام[2] فلما حلت الأجساد، تعارفت بالمعني الأول. فصارت تعارفها وتناكرها علي ما سبق من العهد المتقدم.

---

(١) قال النووي، وأصح ما قيل في ذلك، قول إمام الحرمين: أنها جسم لطيف، مشتبك بالأجسام الكثيفة، اشتباك الماء بالعود الأخضر.

(٢) تشام: ينظر إليها.

والأرواح جنود مجندة، تتعارف وتتآلف ..

فـأرواح الأحيـاء تتـآلف مع أرواح الأحيـاء، يؤيد هذا مـا نراه في مـواقـفنا من انجذاب روح إلي روح لم يمض علي تلاقي أصحابها إلا ثوان يحسبونها سنوات، لفرط الإنجذاب وشدة التآلف والانسجام والتجاوب ..

وفي تاريخ ابن عسـاكر، بسنده، عن هرم بن حيـان، قـال: أتيت أو يسا القرني، فسلمت عليه ولم أكن رأيته قبل ذلك ولا رآني، فقال لي: وعليك السلام يا هرم بن حيان. قلت من أين عرفت أسمي واسم أبي، ولم أكن رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني، قال: عرفت روحي روحك، حيث كلمت نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفاس كأنفاس الأجساد، وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا، ويتجاوبون بروح الله، وإن لم يلتقوا.

وأخرج الطوسي في عيون الأخبار، عن عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة كانت بمكة تدخل علي نسـاء قـريش تضـحكهم، فلمـا هاجـرت إلي المدينة، قـدمت علي، فقلت: أين نزلت؟ قالت: علي فُلانة، امرأة كانت تُضحك بالمدينة، فدخل رسول الله ﷺ فقال: «فلانة المضحكة عندكم» قلت : نعم، قال «علي من نزلت؟» قلت: علي فلانة المضحكة. قال «الحمد لله» إن الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها أئتلف، وما تناكر منها اختلف».

وأرواح الأموات تتـلاقي بأرواح الأحيـاء، والواقع المنامي ودنيـا الرؤي والأحلام تثبت ذلك اللقاء الروحي وتؤيده. وأرواح الأموات تتعارف بأرواح الأموات. يدل علي ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه ابن أبي الدنيـا، قـال: لما مات بشر ابن البراء بن معرور حزنت عليه أمه حزنا شديداً، فقالت: يا رسول الله، إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة، فهل يتعارف الموتي فأرسل إلي ولدي بشر بالسلام؟

فقـال رسـول الله ﷺ: «نعم، والذي نفسي بيـده يا أم بشر انهم ليتعـارفون كـما تتعـارف الطيـر في رءوس الشـجـر فكان لا يهلك هالك من بني سلمـة إلا جـاءته أم

بشر عقيب وفاته فقالت: يا فلان عليك السلام اقرأ علي بشر السلام.

وقال عبيد بن عمير: إن أهل القبور يتوكفون (١) الأخبار فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ أما قدم عليكم؟ فيقولون: لا. فيقول: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، سُلك به غير سبيلنا .

ثم يقول عمير أيضا : إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الركب : مافعل فلان ؟ .. مافعلت فلانة ؟ فإذا قال : توفي ولم يأتهم قالوا : ذهب به الي أمه الهاوية.

وعن أبي أيوب الانصاري قال : قال رسول الله ﷺ :«إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة عند الله كما يتلقي البشير في الدنيا، فيقول : أنظروا أخاكم حتي يستريح، فإنه كان في كرب شديد، فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال : إنه قد مات قبلي ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ذُهب به إلي أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية»

بأي شئ تتمايز الأرواح بعد الموت ؟

أجاب ابن القيم علي هذا السؤال فقال :«إن الأرواح ذات قائمة بنفسها، تصعد وتنزل، وتتصل وتنفصل، وتذهب وتجئ، وتتحرك وتسكن، يدل علي ذلك قوله تعالي :﴿ونفس وماسواها﴾ (٢) ، (٣) فأخبر أنها مسواه،كما قال الله تعالي عن البدن:﴿الذى خلقك فسواك (٤) فعدلك (٥) ﴾ فسوي بدنه كالقالب لنفسه فتسويه البدن تابع لتسوية النفس. ومن ههنا يعلم أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن

---

(١) يتوكفون : يتتبعون.

(٢) سواها : عدل أعضاءها وجعل كل عضو صالحا لما أريد منه

(٣) الشمس : آية ٧

(٤) فسواك : جعل أعضاءك سوية سليمة مهيأة للانتفاع بها

(٥) فعدلك : جعلك معتدل القامة، متناسق الخلق

غيرها، فإنها تتأثر وتنفعل عن البدن، كما يتأثر البدن وينفعل عنها، فيكتسب البدن الطيب والخبيث منها، كما تكتسبهما هي منه.

بل تَميّزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان ، والاشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان، فإن الأبدان تشتبه كثيراً، وأما الأرواح فقلما تشتبه، ويوضح هذا، أننا لم نشاهد أبدان الأنبياء والأئمة، وهم يتميزون في علمنا أظهر تميز، وليس تميزا راجعا إلي مجرد أبدانهم، بل هي بما عرفناه من صفات أرواحهم، وأنت تري أخوين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه، وبين روحيهما غاية التباين، وقلّ أن ترى بدنا قبيحا وشكلا شنيعاً إلا وجدته مركبا علي نفس تشاكله وتناسبه، وقلّ أن تري آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها ، ولذا يأخذ أصحاب الفراسة أحوال الناس من أشكال الأبدان. وقل أن تري شكلا حسنا وصورة جميلة وتركيبا لطيفا إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له، وإذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تحملهم، وكذلك الجن، فالأرواح البشرية أولي . أ هـ.

تخاصم الروح والجسد يوم القيامة :

أخرج ابن منده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : ماتزال الخصومة بين الناس، حتي تخاصم الروح والجسد، فتقول الروح للجسد : أنت فعلت ، ويقول الجسد للروح : أنت أمرت، وأنت سولت ، فيبعث الله ملكا يقضي بينهما فيقول لهما : إن مثلكما كمثل رجل مُقْعد بصير (كسيح) وآخر ضرير، دخلا بستانا فقال الكسيح للضرير : إني أري ههنا ثمارا ولكنى لاأصل إليها، فقال له الضرير : اركبني ، فركبه فتناولها، فأيهما المعتدي، فيقولان : كلاهما فيقول لها الملك، فإنكما قد حكمتما علي أنفسكما، يعني أن الجسد للروح كالمطية وهي راكبة.

وأخرج الدار قطني في الإفراد، من حديث أنس مرفوعا نحوه، ولفظه :«يختصم

الروح والجسد يوم القيامة ، فيقول الجسد: إنما كنت بمنزلة الجذع، ملقي لاأحرك يداً ولارجلا لولا الروح، ويقول الروح: إنما كنت ريحا، لولا الجسد لم استطع أن أعمل شيئا، وضرب لهما مثل أعمي ومقعد ، حمل الأعمي المقعد، فدله ببصره المقعد ، وحمله الأعمي برجله، وله شاهد عن سلمان موقوفا.

أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، ولفظه :«مثل القلب والجسد، مثل أعمي ومُقْعد، قال المقعد للأعمي إني أري ثمرة ولااستطيع أن أقوم إليها فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه، وهذا يؤيد أن القلب محل الروح والله أعلم. أ.هـ.

استحضار الأرواح بين الحقيقة والخرافة :

يقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي شيخ الأزهر الأسبق في تقديمه لكتاب حياة محمد ﷺ ، للدكتور محمد حسين هيكل: «والكهرباء ومانشأ عنها من المخترعات قربت إلي العقل إمكان تحول المادة إلي قوة، وتحول القوة إلي مادة، وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئا كثيرا مما كانوا فيه يختلفون، وأعان علي فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها وفهم ماتستطيعه من السرعة في طي الأبعاد.

لكن هناك أموراً تجعلنا نتحفظ في الاعتراف المطلق باستحضار الأرواح. منها أن بعض الأرواح التي تستحضر إذا سئلت عن حالها تقول : إنها في الجنة، وإنها مستريحة، وقد كان أصحابها علي غير دين الإسلام فكيف يقبل ذلك ؟ وكيف يكون من مات علي غير دين الإسلام سعيداً مستريحاً؟ وكيف يخبر أنه ناعم بالجنة؟ وكيف يكون طليقا في ملك الله حتي يستحضر وهو حبيس في جهنم.

ومنها: أن هذه الأرواح تتحدث بنبوءات كاذبة رجماً بالغيب، والأرواح لاتجتريء علي الكذب، والرجم بالغيب الذي استأثر الله بعلمه !!

وإذا كان غير مقبول في الدين أن تدعي نفوس كافرة أنها في الجنة، وأن تكون

طليقة وهي حبيسة في جهنم، وأن ترجم بالغيب، فلذا يكون مثل هذه الأكاذيب صادراً عن قرناء تلك الأرواح من الجن، أو عن جن عابر شأنها الكذب ولس صادراً عن تلك الأرواح التي أريدا ستحضارها.

أما العلاج الروحي فإنه أمر واقعي ومفيد في كثير من الأحيان للأمراض المستعصية وسواها...

ولكننا لانستطيع القول بأن تلك الأرواح المعالجة هي أرواح الإنس الذين ماتوا، فقد تكون أرواح جن حضرت متبرعة للعلاج، وكانت بصورة من أريد استحضار أرواحهم، وفي مثل خصائصهم. ومن الأمور المسلمة أن من الجن من هو ماهر في العلاج ولهم قدرات عجيبة في نواح شتي.

ولسنا من أولئك الذين يصدون الناس عن العلم، ولكننا نوجو أن يكون تعلمه وتطبيقه والاعتقاد فيه وفقا لقواعد الدين (انتهي بتصرف)

ويعلق الأستاذ الفاضل / مصطفي محمد الطير، وهو من علماء الأزهر الشريف علي هذا الموضوع، ويدعو غيره من العلماء إلي الاعتراف بعلم استحضار الأرواح وقد سبقهم إلي الاعتراف به علماء أجلاء أمثال الشيخ محمد عبده، والشيخ مصطفي المراغي، ورائده بمصر المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري ، يقول (١) .

«إن استحضار الأرواح بعزائم، أو بآيات من كتاب الله تعالي، أو بأيه وسيلة أخري مادامت تجول أحيانا في كون الله، ولاتلزم مكانا معينا لم يرد في كتاب الله ولاسنة رسوله ﷺ حتي يجاب عن هذا الإمكان بلسان الشرع الشريف.

والذي ثبت شرعا هو بقاء الأرواح بعد موت الأجساد، وأنها تسمع السلام وترده، وتزور الأحياء يقظة ومناما، ومن غير استحضار منالها، وإن لم يثبت شرعا أنها تخضع للأحياء يحضرونها حيث شاءوا، ويسخرونها حيث أرادوا، لكن علم استحضار الأرواح أصبح منتشراً في أوروبا وأمريكا كما أضحي ينتفع به في شتي

(١) كتاب «هادي الأرواح» للأستاذ الفاضل مصطفي محمد الطير

الأغراض، ومنها علاج الأمراض المستعصية، وقد زحف هذا العلم إلي باقي القارات وغـزا بلادنا، وكـان رائده بمصر المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري، ثم انتشـر في الطبقات المثقفة بيننا، وأصبحت له جمعيات تمارسه، وتدعو إليه وتعالج باسمه مختلف الأمراض وتأتي في علاجها بنتائج إيجابية في عديد من الحالات المستعصية .. أعرف بعضها ..

فهل لنا أن نعترف به كعلماء وقد أصبح من واقع الناس ؟!

أين مستقر الأرواح فيما بين الموت إلي يوم القيامة ؟

هذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس، واختلفوا فيها، وهي انما تتلقي بالسماع عن الشرع الحكيم، ومـاورد فيها من أقوال عن الصادق الأمين ﷺ ، واجتهد العلماء في أمرها .. وبحثوا .. وتمخضت هذه الأبحاث عن اختلافات واتجاهات، ومزاعم.. وأقوال مريضة ضعيفة

من القبيل الأول : اتجهت طائفة : منهم أبو هريرة وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) إلي القول : بأن أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء، إذ لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولادين وتلقاهم ربهم بالعفو ، والرحمة لهم.

وقالت طائفة : إن أرواح المؤمنين مستقرة بفناء الجنة علي بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

وقالت طائفة ثالثة : الأرواح علي أفنية قبورها.

وقال الإمام مالك : الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله : أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة، واستدلوا علي ذلك بحديث رسول الله ﷺ :« أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق (أي تأكل» في أشجار الجنة، حتي يردها الله إلي

أجسادها يوم القيامة (١)

وقالت طائفة من الصحابة والتابعين : أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا علي ذلك (٢)

وقال سلمان الفارسي : أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض حيث شاءت.

وقال ابن حزم : إن الروح مستقرها بعد الموت حيث كانت قبل خلق الأجساد ، إذ أن مذهبه أن خلق الروح سبق خلق الأجساد ، فإذا فنى الجسد ذهبت الروح إلي مستقرها (أي عن يمين آدم وشماله). فبعد وفاه الأنفس ، وإنقضاء آجالها ، ترجع الأرواح إلي البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسري به، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه السلام، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر (الماء والهواء والتراب والنار) (٣) تحت السماء الدنيا.

ولايدل ذلك علي تعادلهم، بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة، وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن، ويعجل بأرواح الأنبياء والشهداء إلي الجنة . أ.هـ.

ورد عليه ابن القيم ، فقال رحمه الله : لعمرو الله لقد قال (أي ابن حزم) قولا يؤيده الحديث الصحيح هو حديث الإسراء فإن النبي ﷺ رآهم كذلك.

لكن قوله : إن ذلك عند منقطع العناصر العناصر لادليل عليه من كتاب ولاسنة ولايشبه أقوال أهل الإسلام.

والأحاديث الصحيحة تدل علي أن الأرواح فوق العناصر في الجنة عند الله، وأدلة القرآن تدل علي ذلك، وقد وافق ابن حزم علي أن أرواح الشهداء في الجنة،

---

(١) رواه الطبراني وأحمد وابن ماجه عن كعب بن مالك وأم مبشر رضي الله عنهم والحديث في صحيح الجامع برقم(٩٢٥)

(٢) قاله أبو عبد الله بن منده

(٣) وهذا الرأي لأرسطو قاله بعده كثير من فلاسفة العرب ومتكلميهم، وهو رأي قد أثبت العلم الحديث خطأه : فالماء ليس عنصراً ولكنه جسم مؤلف من عنصرين : الأكسجين والهيدروجين، والهواء ليس عنصراً ولكنه غاز مؤلف من عنصرين : الأكسجين والأزوت، وهكذا دواليك والعناصر ليست أربعة بل بضعة وتسعون عنصراً.

ومعلوم أن الصديقين أفضل منهم فكيف تكون روح أبي بكر الصديق، وعبد الله بن مسعود، وأبى الدرداء، وحذيفة بن اليمان وأشباههم عند منقطع العناصر تحت السماء الدنيا، وتكون أرواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق السموات؟!

وأما قول ابن حزم : إن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها، فهذا القول وإن كان قد قاله جماعة من السلف والخلف فالقول الصحيح غيره، وليس علي ذلك دليل من كتاب الله ولاسنة ولاإجماع إلا مافهموه من آيات لاتدل لهم، وأحاديث لاتصح، والجمهور علي خلاف ذلك وهو أن الأرواح خلقت بعد الأجساد . أ.هـ .

وأما ماروي عن سلمان الفارسي أن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، فهو قول قوي، فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالي :﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(١) ، فالبرزخ هنا مابين الدنيا والآخرة وأصله الحاجز بين الشيئين (٢) .

ومن القبيل الثاني - أصحاب الأقوال المريضة - قلة قليلة وفئة محدودة قالت :إن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم وأرواح الكافرين ببئر «برهوت» بحضر موت فهذا قول مرفوض ، والجاه فردي غير مسلم به، ولادليل عليه من كتاب أو سنة أو قول صحابي .

ومن المزاعم المريضة من قال إنها بالجابية...، ومن أبطل الأقوال وأفسدها مااتجهت إليه تلك الطائفة التي قالت : إن مستقر الأرواح بعد مفارقة أبدانها العدم المحض .. ويعلل السفاريني بطلان هذا الرأي فيقول : «وهذا الرأي باطل لايلتفت إليه، فإن صاحب هذا القول يزعم أن الروح عرض كسائر أعراض الجسم، وأن الجسم

(١) سورة المؤمنون : آية ١٠٠

(٢) إن كان أراد في البرزخ زمانا فصحيح ، وإن كان أراد به مكانا فخطأ مخالف للأدلة الصحيحة والتي فيها أنها في الجنة.

إذا مات عدمت روحه، فلا تعذب ولاتنعم إنما يعذب وينعم الجسد، وإذا شاء الله تعذيب الجسد أو تنعيمه رد إليه الحياة في وقت إرادة التنعيم أو التعذيب، وإلا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة».

وقال الإمام ابن القيم : وهذا قول يرده الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وأدلة العقول والفطن والفطرة، وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره.

ومن أروع التعليقات وأبدعها علي حديث رسول الله ﷺ «إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر» ماقاله الإمام المحقق ابن القيم، فقد قال :«ولا محذور في هذا، ولايبطل قاعدة من قواعد الشرع، ولايخالف نصا من كتاب الله ولاسنة رسوله ﷺ، بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء أن أعاضهم عن أبدانهم التي فارقوها لله تعالي أبدانا أخري خيراً منها تكون مركبا لأرواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم ، فإذا كان يوم القيامة رد أرواحهم إلي تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا » أ.هـ

تناسخ الأرواح الباطل :

أما ثالثة الأثافي فهي مااتجه إليه بعض الملاحدة من أصحاب نظرية «تناسخ الأرواح» ، وهو اتجاه فاسد عقيم ذهب إليه الذين زعموا أن الروح بعد مغادرتها للجسد تحل في أبدان غير أبدانها، يقول الاسفرايني : «إن التناسخ باطل يقول به أعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد، ويزعمون أن الأرواح تصير بعد الأبدان إلي أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها وتشاكلها.

فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلي أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان أخري تناسب أعمالها وأخلاقها .. وهكذا ...

فهذا التناسخ باطل لمخالفته لما اتفق عليه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو كفر بالله واليوم الآخر...

فهذه الطائفة تقول إن مستقر الأرواح بعد مفارقةأبدانها الأصلية، أبدان الحيوانات التي تناسبها، وهو أبطل قول وأخبثه كما يقول ابن القيم.. ويليه قول من يزعم أن الأرواح تعدم جملة بالموت، ولايبقي هناك روح تنعم ولاتعذب، بل النعيم والعذاب يقع علي أجزاء الجسم أو جزء منه فقط «أما عجب الذنب أو غيره» فيخلق الله فيه اللذة والألم بواسطة رد الحياة اليه، أو بدون رد.. فهؤلاء عندهم لاعذاب في البرزخ إلاعلي الأجساد.. وهذا قول أبي بكر الباقلاني ومن تبعه، وهو قول يرده الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل، ويقابله قول من يقول : إن الروح لاتعاد إلي الجسد أصلا، ولاتتصل به بوجه من الوجوه وأن العذاب والنعيم للروح فقط، والصحيح خلاف هؤلاء فالسنة الصحيحة المتواترة تبين أن العذاب علي الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين».

ثم يطرح ابن القيم هذا السؤال ويجيب عليه، فإن قيل : فقد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتي نعتقده؟

وأجاب بأن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلي عليين في الملأ الأعلي وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتوت في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء (ومنها) أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لاجميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلا جاء إلي النبي ﷺ فقال : يارسول الله مالي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة، فلما ولي قال : إلا الذي سارني به جبريل آنفا».

ومن الشهداء من يكون محبوسا علي باب الجنة كما في الحديث الآخر: رأيت[1]

(١) صحيح . هذا الحديث رواه أحمد عن سمره، ورواه أبو داود والنسائي والحاكم والبيهقي.

صاحبكم محبوسا علي باب الجنة ».

(ومنهم) من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة (١) التي غلها (سرقها من الغنيمة) ثم استشهد، فقال الناس : هنيئا له الجنة، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره.

(ومنهم) من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس : «الشهداء علي بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه أحمد

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

(ومنهم) من يكون محبوسا في الأرض لم تعل روحه إلي الملأ الأعلي ، فإنها كانت روحا سفلية أرضية لاتجامع الأنفس السماوية كما لاتجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه فهي أرضية سفلية، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة علي محبة الله وذكره، والتقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالي يزوج النفوس بعضها ببعض ، ويجعل روح المؤمن مع النسيم الطيب، أي الأرواح الطيبة المشاكلة فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك.

(ومنها) أرواح تكون في تنور الزناة والزواني (وأرواح) في نهر الدم تسبح فيه

---

(١) حديث الشملة رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلي خيبر ففتح الله عز وجل علينا فلم نغتنم ذهبا ولاورقا (أي فضة)، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلي الوادي (وادي القري) ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له اسمه مدعم (بكسر الميم وسكون الدال وفتح العين) وهبه له رجل من جذامة يسمي رفاعة بن يزيد من بني الضبعة فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ بحل رحله، فرمي بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا : هنيئا له الشهادة يارسول الله ، فقال «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر ولم يصبها المقاسم.. (رواه الشيخان وغيرهما).

وتلقم الحجارة.

فليس للأرواح - شقيها وسعيدها - مستقر واحد ، بل روح في أعلي عليين، وروح أرضية في درجة سفلي لاتصعد من الأرض ولاترقي إلي العلو.

وكل من تأمل الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ عرف أن ذلك كله صحيح، وأن كل الأحاديث الصحيحة حق وصدق، يصدق بعضها بعضا..

ومنها تخلص إلي أن للروح شأنا غير شأن الجسد.. وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه.. وهي أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطاً، وأنها تنقسم إلي مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة أحوال .. إلي أن يقول : وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أمه، وحالها بعد المفارقة بحالة بعد خروجه من البطن إلي هذه الدار.

فلهذه الروح أربعة دور، وكل دار أعظم من التي قبلها ..

الدار الأولي : بطن الأم، وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

الدار الثانية : هي الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة .

الدار الثالثة : دار البرزخ، وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليه كنسبة هذه الدار إلي الأولي.

الدار الرابعة : هي دار القرار، وهي الجنة أو النار ، فلا دار بعدها، والله تعالي ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتي يبلغها الدار التي لايصلح لها غيرها، ولايليق بها سواها وهي التي خلقت لها، وهيئت للعمل الموصل إليها.

ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الأخري فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها، ومشقيها ومسعدها.. لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وله القوة كلها، والقدرة كلها.

والعز كله، والحكمة كلها، والكمال المطلق من جميع الوجوه.

ملامح الحياة الآخرة

قبل أن ننهي الحديث عن الحياة والموت.. لابد أن نتحدث عن بعض ملامح الحياة، الأخري كما يصورها القرآن الكريم.. تلك هي الحياة الحقيقية للإنسان.. فالحياة الدنيا هي دار اختبار لايلبث الإنسان أن يغادرها مهما عمر فيها.. ثم يأتي بعدها حياة خالدة للإنسان.

الحياة الدنيا يسبقها موت ويعقبها موت.. والحياة الآخرة يسبقها موت ويعقبها خلود.. الحياة الدنيا عالم أغيار لايثبت الإنسان فيها على حال.. القوي فيها يصبح ضعيفا والغني فيها يصبح فقيرا..وصاحب الجاه والسلطان يصبح لاحول له ولاقوة.. لذا نجد القرآن الكريم يحرص علي أن ينعت الحياة الأرضية قبل الموت بالحياة الدنيا، بل أوردت بعض الآيات الشريفة لفظ الدنيا فقط دلالة علي الحياة الأرضية كما جاءت في الآية الشريفة :

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ آية ـ٦٧ـ(الأنفال)

وبديهي أن الدنيا إنما تشير إلي شأنها.. وتفاهة أمرها إذا ما قيست بغيرها.. وقد وردت هذه الصفة للحياة الأرضية حتي يتعمق في مفهوم الإنسان أنه توجد حياة أخري تختلف عن هذه الحياة في أنها ليست دنيا.. إنها علي نقيضها.. لأنها مجموعة من الحياة العليا الكريمة وأنها ليست كهذه الحياة. قال الإمام الغزالي:«اعلم أن السعادة الحقيقية هي الأخروية وماعداها سميت سعادة إما مجازا أو غلطا كالسعادة الدنيوية التي لاتعين علي الآخرة، وإما صدقا ولكن الاسم علي الأخروية أصدق وذلك كل مايوصل إلي السعادة الأخروية ويعين عليه، فإن الموصل إلي الخير والسعادة قد يسمي خيراً أو سعادة» (١)

(١) ميزان العمل ص ٢٠٥ط دار المعارف ١٩٦٤م.

تقول الآية الشريفة : ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾
آية ـ٦٤ـ (العنكبوت).

إنها خير من الدنيا.. وأبقي بالنص الشريف:
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ آية ـ ١٦ـ١٧ـ(الأعلى)

وفي بيان سعة أبعاد الحياة الأخرى ووضوح الرؤية واتساع رقعة البصر وعمقه وحدته تقول الآيات الكريمة: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾. آية ـ ٢٢ـ ق

فهل هناك من حدود للمعرفة بعد أن يكشف الغطاء عن الإنسان لينطلق بمعرفته بلا قيود ؟.. وهل هناك من عوائق للبصر بعد أن يصبح في قوته ونفاذه كالحديد؟

وعن ملامح الحياة الآخرة تتحدث الآيات القرآنية الكريمة فيقول عز من قائل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾
اية ـ١٦٩ـ (آل عمران)

وهذه الآية تشير إلي أن كل أرواح الموتي أحياء عند ربهم يرزقون.. فقد كان يظن أن من يقتل لن يكون شأنه كمن يموت فقد يكون لفصل رأسه أو دق عنقه أو إنشطار جسمه أثره في عدم حياته بعد الموت، فالآية الكريمة تنفي هذا الظن وتؤكد الحقيقة القاطعة وهي أن القتلي شأنهم كغيرهم أحياء عند ربهم يرزقون...

وإنما الفارق بين من يقتل في سبيل الله ومن يموت أو يقتل في غير الجهاد لله هو فيما جاءت به الآيات اللاحقة للآية الشريفة وهي :﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾
آية - ١٧٠-١٧١ آل عمران

وعن رؤية الجنة والنار في الحياة الآخرة ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد

الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداه والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتي يبعثك الله يوم القيامة».

والآيات الشريفة تؤكد رؤية الإنسان للجنة والنار في الحياة الأخري وقبل أن تقوم الساعة، يقول الله تعالي:

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝﴾ آية - ٤-٦ -(محمد)

وقال تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝﴾ آية - ٤٦ -(غافر)

والآيات كثيرة في القرآن الكريم تفيد قيام الأسرو اجتماع الأحبة ولم الشمل في الحياة الأخري، مثل الآيات الشريفة:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝﴾ آية -٢٧- ٣ -(الفجر)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ آية٢١-(الطور)

فهي تؤكد اجتماع الأسر بكل أفرادها طالما كانوا علي درجة واحدة من الصلاح..

والآية تفيد أن هذا الاجتماع يكون بعد الموت أي في الحياة الآخرة فإن الإلحاق يقتضي التتابع وهذا يتم بالموت..

وقوله تعالي: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝﴾ آية -٦٩- (النساء)

وقد نزلت هذه الآية عندما جاء رجل من الأنصار وهو يبكي إلي النبي ﷺ، فقال له النبي: مايبكيك ؟.. فقال: يانبي الله، والله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إلي من نفسي وأنا أذكرك أنا وأهلي فأشتاق حتي أراك فتذكرت موتك وموتي..

فعرفت أنك ترفع فى النبيين ، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدني من منزلتك.. فلم يرد النبي ﷺ حتي نزل قول الله الكريم في الآية الشريفة المذكورة والتي تؤكد معية الإنسان بعد الموت مع من يحب لمن هم في مستواه.

ولذلك قال ﷺ «أنت مع من أحببت» عندما سُئل هل يمكن رؤيته والتمتع بحديثه بعد الموت؟.

وماقالته الأرواح عن انتقال الروح من المستوي الأول إلي المستوي الثاني والذي يتم بالموت الثاني ، والذي لاموت بعده قد يكون فيه التفسير للآيات الشريفة التي ورد فيها ذكر الموت الثاني ، وذلك مثل الآية الكريمة :

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾
آية - ١١ -(غافر)

والموتتان هما الموتة الأولي التي ينتقل فيها الإنسان إلي الحياة الآخرة، والثانية هي التي تنتقل فيها الروح من المستوي الأول إلي مافوقه.. والحياتان هما الحياة الدنيا أي الحياة في عالم الشهادة.. والحياة الآخرة أي الحياة في عالم الغيب.. وهذا كله قبل القيامة. إذ يقول الذين كفروا بنص الآية ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ .. أي خروج إلي الدنيا ليعملوا فيها بلا ذنب .. فيوم القيامة لاتوجد أرض أو سماء أو دنيا أو مايمكن أن يقول معه الكافرون بالخروج للعمل مرة أخري بدون ذنوب..

بل إن القرآن الكريم ليقرر كفر من يقول بالموتة الواحدة الأولي فقط كمن يكفر بالبعث إذ تقول الآية الكريمة علي لسان آل فرعون :

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ آية - ٣٥ -(الدخان)

وتقرر ضمناً وجود موته غير الموتة الأولي.

والترقي الذي تنتقل به الروح إلي المستويات الأعلي بديهي أنه يتم عن طريق العمل الذي تقوم به الروح بعد انتقالها إلي الحياة الأخري، وتشير الآيات إلي أن

هذا العمل هو استمرار لما كان يقوم به الإنسان في حياته الدنيا، وفي ذلك تقول الآية الشريفة :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾

آية ـ٧٢ـ (الإسراء)

ولذلك كان لابد أن ينتقل الإنسان وهو مرتبط بالأعمال الصالحة .. عامل علي مافيه الخير.. بل الخير كل الخير.. بل الخير المطلق .. قال تعالي

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ آية ـ ٩ـ١٠ ـ (يونس)

ويقول النبي ﷺ :«الأرواح تلج مكاناً ألفته، وتلزم عملا عرفته»

وترتقي الأرواح بعملها في الحياة الآخرة من سماء إلي غيرها.. وتقرر آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالي قد خلق سبع طرائق فوق الإنسان ، أي سبع مستويات فوق مستوي الإنسان العادي، وذلك بالنص الشريف .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ آية ـ١٧ ـ (المؤمنون)

وقد فسر بعض العلماء الآيات الكريمة:

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ آية ـ ١ـ٥ ـ (النازعات)

إنها قسم بحال النفوس في مراحلها المختلفة بعد الحياة الأخري وقد تكون الروح في أول إنتقالها تريد أن تنتزع نفسها من بحار الظلمات التي تتهيأ لها أنها كالغريقة فيها، ثم تنشط الروح حتي يعرف مقرها وتهديها الملائكة.. ثم تطوف بأرجاء المعرفة وتحلق في أجواء العلم وتسبح في ذلك في يسر وسهولة.. وتتباري بعد ذلك الأرواح بالعمل وكأنها تتسابق فيه.. ثم ترتفع إلي مكانة عُليا مع الملائكة

حيث تصبح في تدبير الأمور...

وتظل الأرواح ترتقي وتقترب حتي يفيض عليها النور، فهل أصبحت عند ذلك جزءاً من النور... ؟ إن آيات القرآن الكريم قد أوردت صراحة مايؤيد هذا الرأي في النص الشريف: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾
آية ـ ١٢ ـ (الحديد)

بل إن غيرهم يطلبون منهم أن ينظروا إليهم ليقتبسوا من نورهم وهذا دليل علي أن ذلك يوم القيامة ، فلم يدخل هؤلاء الجنة ، ولم يدخل هؤلاء النار .. وذلك بالنص الشريف:

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾.
آية ـ ١٣ ـ (الحديد)

وتستمر الأرواح في تلقي المزيد من النور .. وهنا يقف القلم ويتعطل الخيال ويخفت الصوت.. فماذا بعد ؟ .. إنه الدعاء الكريم الواسع.. ربنا أتمم لنا نورنا.. وذلك بنص الآية الشريفة:

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ آية ـ ٨ ـ (التحريم)

فمتي وكيف يتم النور؟

هذه بعض ملامح الحياة الأخري وصدق الله العظيم الذي يقول عنها في كتابه الكريم:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾
آية ـ ٦٤ ـ (العنكبوت)

ونسأل الله قبول الأعمال، وحسن الختام

قرب الرحيل إلي ديار الآخرة ... فاجعل إلهي خير عمري آخره

فلئـن رحمـت فأنت أكـرم راحـم ... وبحار جـودك ياإلهــي ذاخـرة
آنس مبيتي في القبور ووحدتي ... وارحم عظامي حين تبقي ناضرة
فـأنـا المسـيكيـن الـذي أيـامـه ... ولـت بأوزار غـدت متــواتره
وتوله باللـطــف عـنـد مـآله ... يامـالك الدنيـا ورب الآخـرة

وصلي الله علي محمد عبده ورسوله
وعلي آله وصحبه وسلم
هذا وبالله التوفيق
د. موسي الخطيب

الفصل الخامس

نوادر... الموتى

قال اليافعي : رؤية الموتي في خير أو شر نوع من الكشف يظهره الله تبشيراً وموعظة، أو لمصلحة الميت من إيصال خير له وقضاء دين أو غير ذلك، ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب، وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الأولياء أصحاب الأحوال. وقال في موضع آخر : مذهب أهل السنة أن أرواح الموتي ترد في بعض الأوقات من عليين أو من سجين إلي أجسادهم في قبورهم ، عند إرادة الله تعالي، وخصوصا ليلة الجمعة و ويجلسون ويتحدثون ، وينعم أهل النعيم، ويعذب أهل العذاب.

قال : وتخصص الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب ، مادامت في عليين أو سجين، وفي القبور يشترك الروح والجسد أ.هـ.

وقال ابن القيم : الأحاديث والآثار تدل علي أن الزائر متي جاء علم به المزور، وسمع كلامه، وأنس به، ورد سلامه عليه. وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لاتوقيت في ذلك. قال : وهو أصح من أثر الضحاك (١) الدال علي التوقيت. قال : وقد شرع رسول الله ﷺ لأمته أن يسلموا علي أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل .

انتهي

(١) الضحاك بن مخلد بن الضحاك : أبو عاصم النبل ، البصري (١٢٢ ـ ٢١٤ هـ) شيخ حفاظ الحديث في عصره، وله جزء في الحديث، والجواهر المضية، وتهذيب التهذيب، والمستطرفة، والجمع بين رجال الصحيحين.

١- الحياة بعد الموت

* حدثنا عبد الله ، قال : ذكر أبي ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة (١) عن عبد الملك بن عمير (٢) ، عن ربعي بن حراش (٣) ، ثم قال : وحدثنا محمد بن بكار (٤)، قال : حدثنا حفص بن عمر (٥) ، عن عبد الملك بن عمير، وعن ربعي بن حراش وهذا لفظ ابن بكار قال : كنا إخوة ثلاثة، وكان أعبدنا ، وأصومنا، وأفضلنا : الأوسط منا، فغبت غيبة إلي السواد (٦) ، ثم قدمت علي أهلي ، فقالوا : أدرك أخاك، فإنه في الموت، قال : فخرجت أسعي إليه، فإنتهيت إليه، وقد قضي، وسجي بثوب، فقعدت عند رأسه أبكيه، قال : فرفع يده، فكشف الثوب عن وجهه، وقال السلام عليكم، قلت : أي أخي أحياة بعد الموت ؟ قال : نعم، إني لقيت ربي عز وجل، فلقيني بروح وريحان ورب غير غضبان، وإنه كساني ثيابا خضراً من سندس واستبرق، وإني وجدت الأمر أيسر مما تحسبون ثلاثا، فاعملوا ولاتغتروا - ثلاثا، إني لقيت رسول الله ﷺ ، فأقسم أن لايبرح حتي آتيه فعجلوا جهازي ، ثم طفا فكان أسرع من حصاة لو ألقيت في ماء، قال : فقلت : عجلوا جهاز أخي.

* حدثنا عبد الله ، قال : ذكر يعقوب بن عبيد (٧) قال : أخبرنا يزيد بن

---

(١) سفيان بن عيينه : (١٠٧ - ١٩٨ هـ) : كان حافظا ثقة، واسع العلم، كبير القدر له «الجامع» في الحديث، وتذكرة الحافظ والرسالة المستطرفة وتاريخ بغداد.

(٢) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي، حليف بني عدي الكوفي، ثقه ، فقيه، تغير حفظه وربما دلس، مات سنة ١٣٦ وله مائة وثلاث سنين : التقريب ١:٥٢١.

(٣) ربعي بن حراش : تابعي من الثقات . قيل : إنه أدرك النبي ﷺ . الإصابة في تمييز الصحابة ١:٤٢٥.

(٤) محمد بن بكار : ثقة، مات سنة بضع وثلاثين بعد المائتين . تقريب التهذيب : ٢:١٤٧.

(٥) حفص بن عمر ، أبو عمر الضرير الأكبر ، البصري ، صدوق، عالم ، قيل ولد أعمي . مات سنة ٢٢٠ وقد جاوز السبعين. تقريب التهذيب ١:١٨٨.

(٦) السواد : قال الفيومي في المصباح : العرب تسمي الأخضر أسود، لأنه يري كذلك عن بعد، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه.

والسواد : العدد الأكثر ، وسواد المسلمين : جماعتهم.

(٧) يعقوب بن عبيد : صدوق . الجرح والتعديل : ٩:٢١٠

هارون (١) ، قال : أخبرنا المسعودي (٢) ، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، قال : مات أخ لي كان أصومنا في اليوم الحار، وأقومنا في الليلة الباردة، فذكر القصة، وزاد فيها: فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فصدقته، وقالت : قد كنا نسمع أن رجلا من هذه الأمة يتكلم بعد موته.

* * * *

---

(١) يزيد بن هارون : (١١٨ ـ ٢٠٦هـ) من حفاظ الحديث الثقات ، كان واسع العلم والدين، وهو أحد شيوخ الحارث بن أسد المحاسبي.

تذكرة الحفاظ ١:٢٩١ ، وتاريخ بغداد ١٤:٣٣٧.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي : صدوق، اختلط قبل موته، وضابطه : أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط.

التقريب : ١:٤٨٧ .

٢ـ الصحابي زيد بن خارجة الأنصاري
رضي الله عنه تكلم بعد موته

* أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب ، أن زيد بن خارجة الأنصاري (١) ، ثم من بني حارثة بن الخزرج، توفي زمن عثمان، فسجى، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال : أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق، الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب،القوي الأمين في الكتاب الأول،صدق صدق عثمان بن عفان، علي منهاجهم مضت أربع، وبقيت ثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم من جيشكم خبر بئر أريس (٢)،وما بئر أريس ؟ !

قال : سعيد : ثم هلك رجل من خطمه (٣) فسجي ثوبه، فسمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال : إن أخا بني الحرث بن الخزرج صدق صدق. قال البيهقي : هذا إسناد صحيح وله شواهد.

* وأخرج البيهقي ، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في الدلائل ، وابن النجار في تاريخه عن اسماعيل بن أبي خالد (٤) قال : جاءنا يزيد بن النعمان بن بشير (٥) إلي حلقة القاسم بن عبد الرحمن، بكتاب أبيه النعمان بن بشير:

---

(١) زيد بن خارجه الخزرجي، الأنصاري. شهد بدراً، وتوفي زمن عثمان، وهو الذي تكلم بعد الموت. الاستيعاب ، والإصابة.

(٢) بئر أريس : بئر بالمدينة المنورة، وهي البئر التي وقع فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان فكان ذلك نذير شؤم.

(٣) الخطمة : الضربة علي الأنف

(٤) اسماعيل بن أبي خالد الأحمس ، مولاهم البجلي، ثقة ، ثبت . مات عام ١٤٦هـ التقريب ١:٦٨

(٥) يزيد بن النعمان بن بشير : من أصحاب خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز : التاريخ الكبير ٨:٣٦٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من النعمان بن بشير إلي أم عبد الله ابنه أبي هاشم، سلام عليك ، فإني أحمد الله الذي لاإله إلا هو، فإنك كتبت إلي لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة، فإنه كان من شأنه أنه أخذه وجع في حلقه ، وهو يومئذ من أصح أهل المدينة، فتوفي بيم الصلاة الأولي (١) وصلاة العصر، فأضجعناه لظهره، وغشيناه ببردين (٢) وكساء، فأتاني آت في منامي وأنا أسبح بعد العصر، فقال : إن زيداً قدتكلم بعد وفاته ، فانصرفت إليه مسرعا، وقد حضره قوم من الأنصار، وهو يقول : الأوسط أجلد القوم ، الذي كان لايبالي في الله لومة لائم، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم، عبد الله (٣) أمير المؤمنين صدق صدق، كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قال : عثمان أمير المؤمنين، وهو يعافي الناس من ذنوب كثيرة، خلت ليلتان، وبقيت أربع ، ثم اختلفت الناس وأكل بعضهم بعضا، فلا نظام وأبيحت الأحماء (٤) ، ثم ارعوي (٥) المؤمنون فقالوا : كتاب الله وقدره، أيها الناس أقبلوا علي أميركم، واسمعوا وأطيعوا، فمن تولي فلا يعهدن دما، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، والله أكبر هذه الجنة، وهذه النار، ويقول النبيون والصديقون : سلام عليك ياعبد الله بن رواحة، هل أحسست إلي خارجة وسعد اللذين قتلا يوم أحد؟ «كلا إنها لظي (٦)، نزاعة للشوي (٧) ، تدعو من أدبر (٨) وتولي ، وجمع فأوعي (٩) ثم خفت صوته .

---

(١) المقصود بها الظهر

(٢) ببردين مثني برد وهو كساء من الصوف يُلتحف به

(٣) لعله عبد الله عُمر أمير المؤمنين، ويؤيد ذلك ماسيأتي بعده.

(٤) الإحماء : الأمكنه المحظورة التي لايقرب منها

(٥) أرعوي : كف وارتدع

(٦) إنها نار جهنم

(٧) قلاعة لجلد الرأس

(٨) أي أدار ظهره للحق

(٩) أي جمع المال فأمسكه في وعاء حرصا، ولم يؤد حق الله.

فسألت الرهط عما سبقنى من كلامه، فقالوا سمعناه يقول : انصتوا .. انصتوا، فنظر بعضنا إلي بعض ، فإذا الصوت من تحت الثياب، فكشفنا عن وجهه فقال : هذا أحمد رسول الله ، سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم قال : أبو بكر الصديق الأمين، خليفة رسول الله ﷺ ، وكان ضعيفا في جسمه، قويا في أمر الله، صدق،صدق، وكان في الكتاب الأول.

٣ـ رجل من الأنصار يتكلم بعد موته

أخرج البيهقي وابن عساكرفي تاريخه قال : بينما هم يوارون القتلي يوم صفين، أو يوم الجمل ، إذا تكلم رجل من الأنصار من القتلي، فقال : محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم ثم سكت.

٤ـ شهيد اليمامة الذي تكلم بعد موته

أخرج البخُاري في تاريخه، وابن منده عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري (١) قال : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس، وكان أصيب يوم اليمامة، فلما أدخلناه قبره سمعناه يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، وعثمان أمين رحيم، فنظرنا إليه فإذا هو ميت.

٥ـ أهل الدنيا أهل لذة لاتدوم

أخرج ابن أبي الدنيا عن سعيد بن هاشم السلمي : قال : أعرس رجل من الحي علي فتاه، فاتخذ لذلك لهواً، فكانت منازلهم إلي جانب المقابر، قال : فوالله إنهم لفي لهوهم ذلك ليلا، إذ سمعوا صوتاً منكراً أفزعهم، فأصغوا مطرقين، فإذا هاتف يهتف من بين القبور :

(١) عبد الله بن عبيد الله الأنصاري : مجهول ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٥ .

يأ هل لذة لهو لاتـدوم لهم إن المنيا (١) تبيد اللهو واللعبا

كم من رأيناه مسروراً بلذته أمسي فريداً من الأهلين مغتربا

قال : فو الله مالبث بعد ذلك إلا أياما قلائل حتي مات الفتي المتزوج.

٦- أيها الباكي علي غيره أصلح نفسك أولا

روي عن سوار بن مصعب الهمداني عن أبيه، أن أخوين كانا جارين له، وكان كل واحد يجد لصاحبه وجداً (٢) ليري مثله، فخرج الأكبر إلي أصفهان، فمات الأصغر، فاختلف (٣) الأكبر إلي قبره سبعه أشهر، فإذا هاتف يهتف من خلفه شعراً:

يأيها الباكي علي غيره نفسك أصلحها ولاتبكـه

إن الذي تبكي علي أثره يوشك أن تسلك في سلكه

قال : فالتفت فلم ير خلفه أحداً، فاقشعر وحم (٤) فرجع إلي أهله فلم يلبث إلا ثلاثا حتي مات فدفن إلي جنبه.

٧- إن الله أحياني من أجلك وغفر لي بثلاث

روي الحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء، بسنده عن أبي يوسف الغسولي، قال: دخل عَليّ ابراهيم بن أدهم بالشام، فقال لي: قد رأيت اليوم عجبا ،قلت: وماذا؟ قال: وقفت علي قبر من هذه المقابر، فانشق لي عن شيخ خضيب (٥)، فقال لي: يا إبراهيم سل (٦)، فإن الله أحياني من أجلك، قلت: ما فعل

---

(١) المنيا : المنية : الموت

(٢) وجد وجداً : حزن حزنا

(٣) اختلف : تردد

(٤)حم : أصيب بالحمى

(٥) شيخ خضيب: قد صبغ لحيته بالحناء.

(٦) سل: فعل الأمر من سأل يسأل.

الله بك؟ قال: لقيت الله بعمل قبيح، فقال لي: لقد غفرت لك بثلاث: لقيتني وأنت تحب من أحبني، ولقيتني وليس في صدرك مثقال ذرة من شراب حرام، ولقيتني وأنت خضيب وأنا استحي من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار. قال: والتأم القبر(١) علي الشيخ، ثم قال إبراهيم: ويحك يا غسولي، عامل الله يريك العجائب.

٨- الرأس المتكلم

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن سعيد العمي قال: خرج قوم غزاة في البحر، فجاء شاب كان به رهق (٢) ليركب معهم فأبوا، ثم إنهم حملوه معهم، فلقوا العدو، فكان الشاب من أحسنهم بلاء، ثم إنه قُتل، فقام رأسه واستقبل أهل المركب وهو يتلو: «تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (٣) ثم انغمس فذهب

٩- أب ميت يعاتب ابنه:

روي ابن الجوزي في كتاب «عيون الحكايات» بسنده، عن محمد بن العباس الوراق، قال: خرج رجل مع ابنه، حتي إذا كانا ببعض الطريق مات الأب، فدفنه بشجر الدوم (٤) ومضي في سفره، ثم مر بذلك الموضع ليلا، فلم ينزل إلي قبر أبيه، فإذا هاتف يهتف ويقول شعراً:

رأيتك تطوي الدوم ليلا ولا تري ... عليك بأهل الدوم أن تتكلما

وبالدوم ثاو(٥) لو ثويت مكانه ... فمر بأهل الدوم عاج مسلما

(١) التأم القبر: انضم طرفاه وأغلق.

(٢) رهق: خفه وحده ويقال للرجل فيه رهق: إذا كان يخف إلي الشر ويغشاه.

(٣) سورة القصص: آية ٨٣.

(٤) الدوم: شجر المقل والنبق وضخام الشجر.

(٥) ثاو: مقيم به

١٠- صوتٌ من القبر يقول شعراً

أخرج ابن أبي الدنيا في القبور، وابن عساكر عن الشعبي قال: كان صفوان بن أميـة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ ببعض المقابر، إذ أقبلت جنازة وسمع صوتا من القبر حزينا موجعا يقول شعراً:

أنعم الله بالظعيـــنة (١) عينا وبمسراك يا أمَيْن إلينا (٢)

جزعا ما جزعت من ظلمة القـ ـبر وإن مسك التراب أمينا

قال: فأخبر القوم بما سمع، فبكوا حتي اخضلت(٣) لحاهم ثم قالوا: هل تدري من أمينة؟ قلت: لا قالوا: صاحبة السرير(٤)، هذه أختها ماتت عام أول، فقال صفوان قد علمت أن الميت لا يتكلم فمن أين هذا الصوت؟

١١- قد أعطانيهما ربي في الجنة مرتين

أخرج ابن عساكر، من طريق أبي صالح كاتب الليث، عن يحي بن أبي أيوب الخزاعي قال: سمعت من يذكر أنه كان في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ شاب متعبد قد لزم المسجد، وكان عمر به معجبا، وكان له أب شيخ كبير، فكان إذا صلي العتمة انصرف إلي أبيه، وكان طريقه علي باب امرأة فافتتنت به، فكانت تنصب نفسها له علي طريقه،فمر بها ذات ليلة،فما زالت تغويه حتي تبعها، فلما أتي الباب دخلت،وذهب يدخل،فذكر الله، وخلي عنه، ومثلت هذه الآية علي لسانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٦) فخرّ

---

(١) المرأة المسافرة والمراد هنا المسافرة من عالم الدنيا إلي الأخرة أي المتوفاة

(٢) أمين اسم المرأة المتوفاة، أمينة، وهي أخت صاحبة القبر، وقد حذفت التاء من أمينة للترخيم، ويجوز فيها الفتح (لغة من ينتظر) والضم علي لغة من لا ينتظر

(٣) اخضلت لحاهم: ابتلت بالدموع.

(٤) السرير: النعش.

(٥) أصابهم.

(٦) أي يبصرون واقع الخطأ ومناهج الصواب، فيتحرزون مما يخالف أمر الله تعالي، الآية ٢٠١ من سورة الأعراف.

الفتي مغشيا عليه، فدعت المرأة جارية لها، فتعاونتا عليه، فحملتاه إلي بابه، واحتبس علي أبيه،فخرج أبوه يطلبه،فإذا به علي الباب مغشيا عليه،فدعا بعض أهله،فحملوه فأدخلوه،فما أفاق حتي ذهب من الليل ما شاء الله،فقال له أبوه: يا بني،مالك؟ قال: خير،قال: فإني أسألك بالله،فأخبره بالأمر،قال: أي بني،وأي آية قرأت؟فقرأ الآية التي كان قرأها،فخرّ مغشيا عليه،فحركوه،فإذا هو ميت، فغسّلوه وأخرجوه ودفنوه ليلا،فلما أصبحوا رُفع ذلك إلي عمر ـ رضي الله عنه فجاء عُمر إلي أبيه فعزاه به وقال: ألا آذنتني[1]قال: يا أمير المؤمنين، كان ليلا. قال عمر: فاذهبوا بنا إلي قبره،فأتي عمر ومن معه القبر،فقال عمر: يافلان ﴿ولمن خاف[2] مقام ربه جنتان﴾[3]،فأجابه الفتي من داخل القبر: يا عمر،قد أعطانيهما ربي في الجنة مرتين.

١٢- أعجب من أصحاب الكهف!

أخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده، من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو قال: أنا والله رأيت رأس الحسين ـ رضي الله عنه ـ حين حُمل وأنا بدمشق، وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف، حتي بلغ قوله تعالي: ﴿أم حسبت[4] أن أصحاب الكهف والرقيم[5] كانوا من آياتنا[6] عجبا﴾[7]، قال: فطأنطق الله الرأس بلسان ذرب[8]. فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي.

---

(١) هلا أعلمتني بوفاة ولدك.

(٢) خاف مقام ربه: خاف حساب ربه.

(٣) سورة الرحمن : آية ـ ٤٦ ـ.

(٤) حسبت : ظننت

(٥) الرقيم : اللوح الذي كُتبت فيه قصة أهل الكهف ونصب علي بابه

(٦) اياتنا : أدلة قدرتنا

(٧) سورة الكهف : الآية ٩

(٨) لسان ذرب : أي حاد لايبالي صاحبه ماقال

١٣- إنكم لتعملون ولكن لا تعلمون!

أخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي في دلائل النبوة، من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي عن ابن ميناء قال: ذخلت الجبانة، فصليت ركعتين خفيفتين، ثم اضطجعت إلي قبر، فوالله إني لنبهان(١)، إذ سمعت قائلا في القبر يقول: قم فقد آذيتني، انكم لتعملون ولكن لا تعلمون، ونحن نعلم ولا نعمل، فوالله لأن أكون صليت مثل ركعتيك أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

١٤ـ طوبي لكم يأهل الدنيا !

أخرج ابن عساكر عن الأوزاعي، قال مَرّميسرة بن حليس بمقابر باب توما (٢)، وقائد يقوده، وكان مكفوفا، فقال : السلام عليكم أهل القبور، أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع، فرحمنا الله وإياكم ، وغفر لنا ولكم، فكأنا وقد صرنا إلى ما صرتم إليه فردّ الله الروُح فَى رجل منهم فأجابه فقال :ـ طوبي (٣) لكم يأهل الدنيا تحجون في الشهر أربع مرات، قال : وإلي أين يرحمك الله ؟ قال : إلي الجمعة، أفما تعلمون أنها حجة مبرور متقبلة؟ قال: ماخير ماقدمتم ؟قال: الاستغفار،وقد غلقت رهوتنا (٤) فلا من حسنة تزيد ولامن سيئة تنقص.

١٥ـ النفس المطمئنة

وأخرج أيضا، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال : كان فيما مضي فتية يخرجون إلى أرض الروم، ويصيبون منهم، فقضي عليهم بالأسر، فأخذوا جميعا، فأتي بهم

---

(١) أي مستيقظ في صحوة ووعي.

(٢) أحد أبواب دمشق القديمة

(٣) طوبي : اسم الجنة أو شجرة فيها

(٤) الرهوة : الموضع الذي تسيل إليه مياه القوم، والمراد انقطعت مسيلة أعمالنا

ملكهم فعرض عليهم دينه، فأبوا فقعد علي تل إلي جانب النهر، فدعاهم فضرب عنق رجل منهم فوقع في النهر، فإذا رأسه قد قام بحيالهم (١) ، وأستقبلهم بوجهه وهو يقول : ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝ ﴾ (٢)

١٦- أبشروا فإني وجدت الأمر أيسر مما كنتم تخوفونني

حدثنا عبد الله، قال: حدثنا محمد بن عثمان العجلي (٣) ، قال : حدثنا أبو أسامة (٤) ، قال ذكر عقبة بن عمار العبسي (٥) قال : حدثني المغيرة بن حذف(٦) عن رؤبة ابنة بيجان، أنها مرضت مرضا شديداً حتي ماتت في أنفسهم فغسلوها، وكفنوها ثم تحركت فنظرت إليهم، فقالت: أبشروا فإني وجدت الأمر أيسر مما كنتم تخوفونني، وجدت لا يدخل الجنة قاطع رحم، ولامدمن خمر، ولامشرك.

١٧- جزاء من يشتم أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)

حدثنا عبد الله،قال : حدثنا يحي بن يوسف الزمي (٧)،قال : حدثنا شعيب بن صفوان (٨)،عن عبد الملك بن عمير،قال :كان بالكوفة رجل يعطي الأكفان،فمات

---

(١) حيالهم : تلقاء وجوههم

(٢) سورة الفجر : الآية ٢٧ إلي ٣٠.

(٣) محمد بن عثمان العجلي : صدوق، ثقة. خلاصة تذهيب الكمال ٢٥

(٤) أبو أسامة، حماد بن أسامة الهاشمي الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة، ثبت، ربما دلس، وكان بآخره يحدث يكتب غيره التقريب ١:١٩٥

(٥) عقبة بن عمار العبسي : لم يجرحه أو يعدله ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦:٣١٥

(٦) المغيرة بن حذف العبسي : مشهور . السابق ٨:٢٢٠

(٧) يحي بن يوسف الزمي الخراساني : نزيل بغداد، يقال له : ابن ابي كريمة، ثقة، مات وله بضع وعشرون بعد المائتين. تقريب التهذيب . ٢:٣٦١.

(٨) شعيب بن صفوان بن الربيع الكوفي : ثقة. خلاصة تذهيب الكمال ١٦٧

رجل،فقيل له،فأخذ كفنا،وانطلق حتي دخل علي الميت، وهو مسجي،فتنفس وألقي الثوب عن وجهه وقال :«غروني.. أهلكوني.. النار أهلكوني.. النار.. فقلنا له: قل لا إله إلا الله قال : لاأستطيع أن أقولها،قيل ولم ؟ قال : بشتمى أبا بكر وعمر.

١٨ـ التحذير من سب أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)

حدثنا عبد الله، قال، حدثني الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني (١) ، قال : حدثنا أبي (٢)، قال : سمعت خلف بن حوشب (٣) يقول : مات رجل بالمدائن (٤) فلما غطوا عليه ثوبه، قام بعض القوم، وبقي بعضهم، فحرك الثوب فقال به، فكشفه عنه، فقال :«قوم مخضبة (٥) لحاهم في هذا المسجد ـ يعني مسجد المدائن ـ يلعنون أبا بكر وعمر (٦) (رضي الله عنهما)، ويتبرءون منهما الذين جاءوني يقبضون روحي يلعنونهم ويتبرءون منهم» فقلنا : يافلان لعلك بُليت من ذلك بشيء ؟! فقال: استغفر الله.. استغفر الله. ثم كان كأنما كانت حصاة فرمي بها.

---

(١) الوليد بن شجاع بن قيس السكوني : أبو همام ابن أبي بدر. نزل بغداد، ثقة، مات سنة ٢٤٣ علي الصحيح. تقريب التهذيب ٢:٣٣٣

(٢) شجاع بن الوليد بن قيس : صدوق، ورع له أوهام ٢٠٤ تقريب التهذيب ١:٣٤٧.

(٣) خلف بن حوشب الكوفي : ليس به بأس . خلاصة تذهيب الكمال ١٠٥

(٤) المدائن : عاصمة بلاد الفرس

(٥) يرون أن عليا كان أحق منهما بالخلافة، وأنهما قد توليا الخلافة عدوانا وظلما، وأهل فارس متشيعون لعلي رضي الله عنه.

(٦) ترجع هذه العقيدة إلي «ابن سبأ» الذي اعتبر أبا بكر وعمر غاصبين للخلافة. فأمعن في الطعن عليهما، وادعي أن علياً أمره بذلك. كما ادعي أن رسول الله ﷺ أوصي بالخلافة لعلي مثلما أوصي موسي ليوشع بن نون، ولكل نبي وصي (الشهر ستاني : الملل والنحل جـ١ :١٥٥).وسرت هذه المقالة بين أتباعه في البصرة والكوفة فأثارت فيهم افتتانا، لذلك قرر عليّ التخلص منه.

١٩- أيها المستودع ربه خذ وديعتك

روي ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم (١) عن أبيه (٢) ، قال : «بينا عمر بن الخطاب يعرض الناس إذ مر به رجل معه ابن له علي عاتقه فقال عمر : مارأيت غرابا كغراب أشبه من هذا بهذا.

فقال الرجل: أما والله ياأمير المؤمنين لقد ولدته أمه، وهي ميته ! قال : خرجت في بعث (٣) كذا وكذا، وتركتها حاملا، وقلت : استودع الله مافي بطنك، فلما قدمت من سفري أخبرت أنها قد ماتت، فبينا أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بني عم لي، إذ نظرت فإذا ضوء شبيه بالسراج في المقابر، فقلت لبني عمي : ما هذا ؟ قالوا: لاندري، غير أنا نري هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة. فأخذت معي فأسا، ثم انطلقت نحو القبر، فإذا القبر مفتوح، وإذا هو في حجر أمه فدنوت، فناداني مناد : أيها المستودع ربه ، خذ وديعتك ، أما لو استودعته أمه لوجدتها، فأخذت الصبي، وانضم القبر.

قال أبو جعفر(٤):فسألت عثمان بن زفر(٥)عن هذا الحديث،فقال:سمعته من عاصم

جزاء عقوق الوالدين

٢٠- ينهق عند قبره كل ليلة

روى ابن أبى الدنيا قال : حدثنا سفيان بن عيينة (٦) عن داود بن شابور (٧) عن

---

(١) زيد بن أسلم : أبو أسامة أو أبو عبد الله، العدوي العمري، فقيه ، مفسر، كثير الحديث. تذكرة الحافظ ١٢٤:١

(٢) أسلم أبو زيد، مولي عمر بن الخطاب، ثقة. خلاصة تذهيب الكمال ٣١ .

(٣) البعث : الجيش والجمع بعوث، ذكره الفيومي في المصباح

(٤) أبو جعفر أي محمد بن الحسين.

(٥) عثمان بن زفر بن مزاحم: صدوق، تقريب التهذيب ٨:٢

(٦) سفيان بن عيينة : سبقت ترجمته

(٧) داود بن شابور بن سليمان المكي : ثقة خلاصة تذهيب الكمال ١٠٩

أبي قزعة (١) رجل من أهل البصرة، عنه أو عن غيره قال : مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة،فسمعنا نهيق حمار،فقلنا لهم: ماهذا النهيق؟!قالوا:هذا رجل عندنا كانت أمه تكلمه بشيء،فيقول لها:انهقي نهيقك(وكانت أمه تقول:جعلك الله حماراً)،فلما مات كان يُسمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة.

٢١- يمسخه الله حماراً

روي ابن أبي الدنيا(٢) عن مجاهد(٣) قال: أردت حاجة فبينما أنا في الطريق، إذ فاجأني حمار قد أخرج عنقه من الأرض، فنهق في وجهي ثلاثا، ثم دخل، فأتيت القوم الذين أردتهم. قالوا: مالنا نري لونك قد حال ؟! فأخبرتهم الخبر، فقالوا: ما نعلم من ذاك؟! قلت: لا. قالوا: ذاك غلام من الحي، وتلك أمه في ذلك الخباء، وكانت إذا أمرته بشئ شتمها، وقال: ما أنتِ إلا حمار، ثم نهق في وجهها، وقال: هاهاها. فمات يوم مات، فدفناه في ذلك الحفير فما من يوم إلا وهو يُخرج رأسه في الوقت الذي دفناه فيه فينهق إلي ناحية الخباء ثلاث مرات ثم يدخل.

٢٢- وفي رواية عبد الله بن أبي الهزيل(٤) قال:

كان رجل إذا كلمّته أمه نهق في وجهها ثلاثا، ثم قال لها: إنما أنتِ حمار، فمات، فكان يخرج من قبره كل يوم بعد صلاة العصر ، يخرج من قبره رأس حمار إلي

(١) سويد بن حجير، الباهلي، أبو قزعة، البصري، ثقة، قال، قال أبو داود لم يسمع من عمران بن حصين. تقريب التهذيب ١: ٣٤٠.

(٢) ابن أبي الدنيا: هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر، ولد سنة ٢٠٨ هـ ببغداد، توفى سنة ٢٨١هـ عن ٧٣ سنة كان صدوقا كثير العلم ورعا زاهدا حافظا، ذا مروءة. تذكرة الحفاظ ٢: ٦٧٧، الجرح والتعديل ١٦٣/٢/٥، والبداية والنهاية ١١:٧٧.

(٣) مجاهد بن جبر: ابو الحجاج المكي، تابعي شيخ القراء والمفسرين (٢١- ١٠٤هـ) أخذ التفسير عن ابن عباس: طبقات الفقهاء: ٤٥، صفوة الصفوة٢ : ١١٧، وحلية الأولياء: ٣:٢٧٩.

(٤) عبد الله بن أبي الهزيل، أبو المغيرة، ثقة، الجرح والتعديل ٥: ١٩٦.

صدره، فينهق ثلاثا، ثم يعود إلي قبره.

٢٣- قاضي حكم بالهوي فهوي:

روي ابن أبي الدنيا عن عطاء الخراساني[١] قال: استقضي[٢] رجل من بني إسرائيل أربعين سنة، فلما حضرته الوفاة، قال: إني أري أني هالك في مرضي هذا، فإن هلكت فاحبسوني عندكم أربعة أيام أو خمسة أيام، فإن رابكم[٣] مني شئ فليناداني رجل منكم، فلما قضي، جُعل في تابوت، فلما كان ثلاثة أيام آذاهم ريحه، فناداه رجل منهم: يافلان! ما هذا الريح؟! فأذن له، فتكلم، فقال: قد وليت القضاء فيكم أربعين سنة، فما رابني[٤] شئ إلا رجلين أتياني، فكان لي في أحدهما هوي، فكنت أسمع منه بأذني التي تليه أكثر مما أسمع بالأخري، فهذه الريح فيها[٥]، وضرب الله علي أذنه فمات.

٢٤- عم النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب شهيد أُحُد يرد السلام علي من يسلم عليه:

* أخرج ابن جرير في تهذيب الآثار، وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت، والبيهقي في الدلائل عن العطاف بن خالد[٦] قال: حدثتني خالتي، قالت: ركبت يوما إلي قبور الشهداء ـ وكانت لا تزال تأتيهم، قالت: فنزلت عند قبر حمزة ـ

(١) عطاء بن أبي مسلم مولي المهلبي، نزيل الشام، ثقه. خلاصة تذهيب الكمال ٢٦٧

(٢) استقضي: ولي القضاء.

(٣) رابكم: رأيتم مني ما يريب وتحارون فيه.

(٤) رابني: جعلني موضع الريبة والاتهام.

(٥) وليس ذلك عجبا بالنسبة لقاض حكم بالهوي فهوي، وما أقل الذين يُنصفون الناس. ولهذا ورد الخبر: قاض في الجنة، وقاضيان في النار.

(٦) العطاف بن خالد بن عبد الله بن العاص، المدني، أبو صفوان: ثقة. خلاصة تذهيب الكمال: ٢٠٦

رضي الله عنه ـ فصليت عنده، وما في الوادي داع ولا مجيب، فلما فرغت من صلاتي قلت: السلام عليكم، فسمعت رد السلام عليّ يخرج من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله خلقني، وكما أعرف الليل والنهار، فأقشعرت[١] كل شعرة مني.

* وأخرج البيهقي عن الواقدي أن فاطمة الخزاعية كانت تقول: لقد رأيتني ـ وغابت الشمس - بقبور الشهداء، ومعي أخت لي، فقلت لها: تعالي نسلمْ علي قبر حمزة، فقالت: نعم، فوقفنا علي قبره، فقلنا: السلام عليك يا عم رسول الله، فسمعنا كلاما ردّ علينا: وعليكم السلام ورحمة الله، قالت: وما قربنا أحد من الناس.

٢٥- الشهداء يردون السلام:

قال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا علي حمزة بن محمد العلوي، سمعت هاشم بن محمد العمري يقول: أخذني أبي بالمدينة إلي زيارة قبور الشهداء، في يوم جمعة، بين طلوع الفجر والشمس، فكنت أمشي خلفه، فلما انتهي إلي المقابر رفع صوته فقال: سلام عليكم بما صُبرتم فنعم عقبي الدار، قال: فأُجيب: وعليك السلام يا أبا عبد الله، فإلتفت أبي إليّ وقال: أنت المجيب يا بني؟ فقلت: لا. فأخذ بيدي فجعلني عن يمينه، ثم أعاد السلام عليهم، ثم جعل كلما سلّم عليهم يُرَدّ عليه، حتي فعل ذلك ثلاث مرات، فخرَّ أبي ساجداً شكراً لله تعالي.

٢٦- المقتول والدفوف:

أخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الواحد بن زيد[٢] قال: كنا غُزاة (في غزوة)، فلما تفرقنا فقدنا رجلا من أصحابنا، فطلبناه فوجدناه في أجمة[٣] مقتولا، حواليه جوار

---

(١) اقشعرت كل شعرة مني: ارتعدت وتقبضت واعترتها هزّة، وذلك كناية عما اعتراه عندما سمع رد السلام.

(٢) عبد الواحد بن زيد البصري، عابد زاهد واعظ، ضعيف. ميزان الاعتدال ٢: ٦٧٢

(٣) الأجمة: الشجر الكثيف الملتف

يضربن علي رأسه بالدفوف، فلما رأيننا تفرقن، فلم نرهن.

٢٧- الميت الضاحك:

أخرج ابن عساكر عن أبي عبد الله الجلاء، قال: مات أبي فجعلناه علي المغتسل، فكشفنا عن وجهه، فإذا هو يضحك، فالتبس علي الناس أمره وقالوا: هو حي، فجاءوا بالطبيب، وغطينا وجهه، وقلنا خذ بمجسه(١) وأخذ بمجسه فقال: هذا ميت، فكشفنا عن وجهه، فنظر إليه ضاحكا فقال: والله ما أدري ميت هو أم حي! فكلما جاء إنسان يغسِّله يهابه ولا يقدر علي غسله، فقام الفضل بن الحسين - وكان من كبار العارفين - فغسله وصلي عليه ودفنه.

٢٨- جاء ليشهد جنازة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ويسلِّم علي أبويه:

أخرج المحاملي في أماليه، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، قال: بينما رجل في أندر(٢) له بالشام ومعه زوجته، وقد كان استُشهد له ابن قيل ذلك بما شاء الله (٣) إذ رأي الرجل فارساً قد أقبل، فقال لامرأته: ابني وابنك يا فلانة،قالتله: أخز عنك الشيطان، ابنك قد أستُشهد منذ حين، وأنت مفتون فأقبل علي عمله، واستغفر الله،ثم دنا الفارس،فقال: ابنك والله يا فلانة، ونظرت فقالت : هو له، فوقف عليهما ،فقال له أبوه:أليس قد أستشهدت يا بني؟قال: بلي، ولكن عمر بن عبد العزيز توفي في هذه الساعة،فاستأذن الشهداء ربهم في شهوده،فكنت منهم،واستأذنته في السلام عليكما ،ثم دعا لهما وانصرف، ووُجد عمر قد

(١) المجس: مكان نبضه لمعرفة حياته أو موته.

(٢) الأندر: البيدر أو أكداس القمح.

(٣) المراد مدة من الزمن.

توفي في تلك الساعة.

٢٩- أرواح آل فرعون:

أخرج ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي، أنه سأله رجل بعسقلان علي الساحل، فقال: يا أبا عمرو، إنّا نري طيراً سوداً تخرج من البحر، فإذا كان العشي عاد مثلها بيضا، قال: وفطنتم لذلك؟ قالوا: نعم. قال: تلك في حواصلها أرواح آل فرعون، يُعرضون علي النار فتلفحها فيسود ريشها، ثم تلقي ذلك الريش، ثم تعود إلي أوكارها، فتلفحها النار، فذلك دأبها حتي تقوم الساعة فيقال: أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب.

٣٠- حبسني ربي هنا بدين عليّ:

روي ابن أبي الدنيا عن شيبان بن الحسن(١) قال خرج أبي وعبد الواحد بن زيد(٢)، يريدان الغزو، فهجموا علي ركية(٣) واسعة عميقة، فإذا بهمهمة (٤) فيها، فدخل أحدهما الركية، فإذا هو برجل علي ألواح(٥) جالس، وتحته الماء فقال: أجني أم أنسي؟ قال: بل أنسي. قا: ما أنت؟ قال: أنا رجل من أهل أنطاكية(٦)،وإني مت فحبسني ربي هنا بدين عليّ، وإن ولدي بأنطاكية ما يذكرونني،ولا يقضون عني،فخرج الذي كان في الركية،فقال لصاحبه: غزوة بعد غزوة،أمشوا حتي نقضي عنه دينه فذهبوا، حتي قضوا ذلك الدين،ثم رجعوا إلي موضع الركية، فلم يروا ركية

---

(١) لم نقف له علي ترجمة.

(٢)عبد الواحد بن زيد، وأبو عبيدة، البصري وهو غير عبد الواحد بن زيد البصري (ثقة). الجرح والتعديل ٦: ٢٠

(٣) الركية: البئر

(٤) الهمهمة: الكلام الخفي.

(٥) ألواح: جمع لوح وهو صفيحة من الخشب عريضة

(٦) أنطاكية: إحدي مدن ولاية حلب بسوريا، تقع علي نهر العاصي.

ولا شيئا ،فأمسوا وباتوا هناك،فإذا الرجل قد أتاهم في منامهم،فقال لهم: جزاكم الله عني خيراً،فإن ربي حولني إلي موضع كذا وكذا من الجنة،حيث قضي عني دَيْني.

٣١- أول من سفك دما في الأرض:

روي ابن أبي الدنيا من طريق عبد الله بن دينار، عن أبي أيوب اليماني، عن رجل من قومه يُقال له عبد الله، أنه ونفراً من قومه، ركبوا البحر، وإذا البحر أظلم عليهم أياما، ثم انجلت عنهم تلك الظلمة، وهم قريب من قرية. قال عبد الله: فخرجت التمس الماء، فإذا أبواب مغلقة يتجأجأ(١) فيها الريح، فهتفت فيها فلم يجبنى أحد، فبينما أنا علي ذلك إذ طلع عليَّ فارسان، تحت كل واحد قطيفة(٢) فقالا لي: يا عبد الله، اسلك في هذه السكة، فإنك ستنتهي إلي بِركة فيها ماء، فاستسق منها ولا يهولك ما تري فيها، فسألتهما عن تلك البيوت المغلقة التي تجأجأ فيها الريح، فقالا: هذه بيوت فيها أرواح الموتي، فخرجت حتي أنتهيت إلي البركة، فإذا فيها رجل معلق، مصوب علي رأسه، يريد أن يتناول الماء بيده وهو لا يناله، فلما رآني هتف بي، وقال: يا عبد الله، اسقني، فغرفت بالقدح لأناوله إياه، فقُبضت يدي، فقلت يا عبد الله، قد رأيت ما صنعتُ، فقُبضت يدي، فاخبرني من أنت؟

قال: أنا ابن آدم، أنا أول من سفك دماً في الأرض.

٣٢- يسمع صوت أخيه من داخل القبر:

أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وابن جرير في تهذيبه، عن يزيد بن طريف البجلي، قال: مات أخي، فلما دُفن وضعت رأسي علي قبره، فإن أذني

(١) يتجأجأ: يكف ويرقد

(٢) القطيفة: كساء له خمل.

اليسري علي القبر، سمعت صوت أخي، أعرفه صوتا ضعيفا، فسمعته يقول: الله، قال الآخر: ما دينك؟ قال: الإسلام.

٣٣- الفتيات الصالحات يستنقذن أباهم من النار:

روي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب «عيون الأخبار» عن الحارث بن نبهان أنه قال: كنت أخرج إلي الجبانات فأرحم علي أهل القبور واتفكر واعتبر وأنظر إليهم سكوتا لا يتكلمون وجيرانا لا يتزاورون، وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادي: يأهل القبور مُحيت من الدنيا آثاركم، وما مُحيت عنكم أوزاركم، وسكنتم دار البلاء فتورمت أقدامكم قال: ثم يبكي بكاءً شديداً ثم يميل إلي قبة فيها قبر فينام في ظلها.

قال الحارث: فبينما أنا نائم إلي جانب القبر إذ أنا بحس مقمقة يُضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر إليه والسلسة في عنقه، وقد ازرقت عيناه واسودّ وجهه وهو يقول: يا ويلي! ماذاُ حلّ بي؟! لو رأني أهل الدنيا ما ركبوا معاصي الله أبداً. طوليت والله باللذات فأوبقتني وبالخطايا فأغرقتني، فهل من شافع لي أو مخبر أهلي بأمري؟!

قال: فاستيقظتَ مرعوبا وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت، فمضيت إلي داري، وبت ليلتي وأنا متفكر فيما رأيت، فما أصبحت قلت دعني أعود إلي الموضع الذي كنت فيه لعلي أجد به أحداً من زوار القبور فأعلمه بالذي رأيت، قال: فمضيت إلي المكان الذي كنت فيه بالأمس فلم أر أحداً، فأخذني النوم فنمت، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يُسحب علي وجهه ويقول: يا ويلتاه! ماذا حلّ بي؟! ساء في الدنيا عملي، وطل فيها أجلي حتي غضب عليّ رب الأرباب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي.

قال الحارث: فاستيقظت وقد توله عقلي بما رأيت وسمعت، فمشيت إلي داري، وبت ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحداً من زوار القبور فأعلمه بما رأيت ثم نمت، فإذا أنا بصاحب القبر قد قون بين قدميه وهو يقول: ما أغفل أهل الدنيا عني؟! ضوعف عليّ العذاب، وتقطعت عني الحيل والأسباب، وغضب عليّ رب الأرباب، وغلق في وجهي كل باب، فالويل لي إن لم يرحمني ربي العزيز الوهاب.

قال: فاستيقظت من منامي مرعوبا وهممت بالانصراف فإذا بثلاث جوار قد أقبلن فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكي أسمع كلامهن، فتقدمت الصغري ووقفت علي القبر وقالت: السلام عليك يا أبتاه، كيف هدوؤك في مضجعك؟ وكيف قرارك في موضعك؟ ذهبت عنا بودك، وانقطع عنا سؤالك فما أشدّ حسرتنا عليك؟، ثم بكت بكاءً شديداً، ثم تقدمت ابنتان فسلمتا علي القبر، ثم قالت: هذا قبر أبينا الشفيق علينا، والرحيم بنا، آنسك الله بملائكة رحمته، وصرف عنك عذابه ونقمته، يا أبتاه جرت بعدك أمور لوعاينتها لأوهمتك، ولو اطلعت عليها لأحزنتك، كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترها.

قال الحارث: فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعا إليهن، فسلمت عليهن، وقلت لهن أيتها الجواري إن الأعمال ربما قُبلت وربما رُدت علي صاحبها فما كان عمل أبيكن المخلّد في هذا القبر الذي عاينت من أمره ما أحزنني، واطّلعت من حاله علي ما آلمني؟ قال: فلما سمعن كلامي كشفن وجوههن، وقلن: أيها العبد الصالح، وما الذي رأيت؟ قلت لهن: لي ثلاثة أيام وأنا اختلف إلي هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه، قال: فلما سمعن ذلك مني قلن لي: بشارة ما أضرها، ومصيبة ما أحزنها، نحن نقضي الأوطار، ونعمّر الديار، وأبونا يُحرق بالنار، فوالله لا قرّبنا قرار، ولا ضمنا للذة العيش دار أو نتضرع للجبار فلعله أن يعتق أبانا

وينقذه من النار، ثم مضين يتعثرن في أذيالهن.

قال الحارث: فمضيت إلي داري فبت ليلتي، فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبني النوم فنمت، فإذا أنا بصاحب القبر له حُسن وجمال، وفي رجليه نعل ذهب ومعه حور وغلمان.

فسلمت عليه وقلت له: رحمك الله من أنت؟ قال: أنا الرجل الذي عاينت من أمري ما أحزنك، واطلعت منه علي ما أفجعك فجزاك الله خيراً، فما أيمن طلعتك عليّ فقلت له: وكيف حالك؟ فقال لي: لما أطلعت عليّ وأخبرت بناتي بالأمس بحالي، تضرعن لمولاهن، ومرّغن خدودهن في التراب، وأهملن دموعهن بالانسكاب،واستوهبوني من العزيز الوهاب،فغفر لي الذنوب والأوزار، وأنقذني من النار،وأسكنني دار القرار مع الصالحين من عباده فإذا رأيت بناتي فأعلمهن بأمري وما كان من قصتي ليزول عنهن روعهن ويفارقهن حزنهن،وتعلمهن أني قد صرت إلي جنات وحور ومسك وكافور،وعندي غلمان وسرور،وقد عفا عني العزيز الغفور.

قالُ الحارث: فاستيقظت فرحا مسروراً لما رأيت وسمعت، ثم مضيت إلي داري وبت ليلتي، فما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الأقدام فسلمت عليهن وقلت لهن: أبشرن فقد رأيت أباكن في خير عظيم ومُلك مقيم، وقد أعلمني أن الله تعالي أجابَ دعاءكن ولم يُخيب مسعاكن، وقد وهب لكن أباكن، فاشكرنه علي ما أولاكن.

فقالت الصغري: اللهم يا مؤنس القلوب، وياساتر العيوب، ويا كاشف الكروب، ويا غافر الذنوب، ويا عالم الغيوب، ويا مبلغ الأمل المطلوب، فبأي لسان أذكرك، وعلي أي نعمك أشكرك، ضاق بكثرتها ذرعي، فيا أكرم الأكرمين، ومنتهي غاية الطالبين، ومالك يوم الدين، الذي يعلم ما أخفي في الضمير، ويدبر أمر الصغير والكبير، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك، وشفعتني في عبدك، فاقبضني إليك

وأنت علي كل شئ قدير، ثم شهقت شهقةوفارقت الدنيا رحمة الله عليها. ثم قامت الثانية فقالت: يارب فرِّج كربي، وخَلِّص من الشك قلبي، يا من أقالني من عثرتي، ودلني من حيرتي، وأعانني في شدتي، إن كنت قبلت دعوتي وقضيت حاجتي، وأبحت طُلبتي، فألحقني بأختي، ثم شهقت شهقة وفارقت الدنيا علي أثرها رحمة الله عليها.

ثم قامت الثالثة فقالت: يأيها الجبار الأعظم، والملك الأكرم للعالم بمن سكت وتكلم، لك الفضل العظيم، والمُلك القديم، والوجه الكريم، العزيز من أعززته، والذليل من أذللته، والسعيد من أسعدته، والشقى من أشقيته، والقريب من أدنيته، والبعيد من أبعدته، والمحروم من حرمته، والرابح من أنجيته، والخاسر من عذبته أسألك باسمك العظيم، ووجهك الكريم، وعلمك المكنون الذي بعد عن إدراك الأفهام، باسمك الذي جعلته علي الليل فدجي، وعلي النهار فأضاء، وعلي الجبال فدكدكت، وعلي الرياح فتناثرت، وعلي السماوات فارتفعت، وعلي الأصوات فخشعت، وعلي الملائكة فسُجدت. اللهم إني أسألك إن كنت قضيت حاجتي وأنجحت طلبتي، فالحقني بصواحباتي، ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا علي أثرها، رحمة الله علينا وعليهم وعلي جميع المسلمين أجمعين.

٣٤- الأنوار الثلاثة:

أخرج ابن سعد عن ثابت البناني، أنه ورجلا آخر دخلا علي مطرف بن عبد الله الشخير يعودانه، فوجداه مغمى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، فهالنا ذلك، فلما أفاق، قلنا له: لقد رأينا شيئا هالنا[1] قال: ما هو؟ فأخذناه، قال: ورأيتم ذلك، قلنا: نعم قال: تلك آلم السجدة، وهي ثلاثون آية، سطع أولها من رأسي، وأوسطها من وسطي، وآخرهامن رجلي،

(١) هالنا: أفزعنا

وقد صعدت تشفع لي، وهذه «تبارك» التي تحرسني قال: فمات رحمه الله تعالي.

٣٥- لا يضحك حتي يعلم أفى الجنة هو أم في النار؟!

رُوي عن الحرث الغنوي قال: آلي(١) ربيع بن حراش أن لا تفتر أسنانه ضاحكا حتي يعلم أين مصيره؟ فما ضحك إلا بعد موته، وآلي أخوه ربعي بعده أن لا يضحك حتي يعلم أفى الجنة هو أم في النار؟ قال الحرث: فلقد أخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسما علي سريره ونحن نغسله حتي فرغنا منه.

٣٦- ما بال صاحبتك لا تكلمني كما كلمتني أنت؟

روي ابن أبي الدنيا، من طريق سعيد بن خالد بن زيد الأنصاري عن رجل من أهل البصرة كان يحفر القبور، قال: حفرت قبراً ذات يوم، ووضعت رأسي قريبا منه، فأتتني امرأتان في منامي، فقالت إحداهما: يا عبد الله، أنشدتك بالله إلا صرفت عنا هذه المرأة ولم تجاورنا، فاستيقظت فزعا، فإذا بجنازة امرأة قد جئ بها، قلت القبر وراءكم، فصرفتهم إلي غير القبر، فلما كان الليل، إذ أنا بالمرأتين، تقول لي إحداهما: جزاك الله عنا خيراً، فلقد صرفت عنا شراً طويلا. قلت: ما بال صاحبتك لا تكلمني كما كلمتني أنت؟ قالت: هذه ماتت من غير وصية، وحق لمن مات من غير وصية أن لا يتكلم إلي يوم القيامة.

٣٧- خرج من القبر يتأجج ناراً:

روي ابن البراء في الروضه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: خرجت مرة بسفر، فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا برجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً(٢)،

---

(١) آلي: حلف وأقسم.

(٢) يتأجج ناراً: يلتهب ناراً

في عنقه سلسلة من نار، ومعي إداوة(١)، من ماء فلما رآني قال: يا عبد الله اسقني، إذ خرج علي أثره رجل من القبر، فقال: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم ضربه بالسوط، ثم أخذ السلسلة فاجتذبه فأدخله القبر. قال: ثم أضافني الليل إلي بيت عجوز، إلي جانب بيتها قبر، فسمعت من القبر صوتا يقول: بول وما بول؟ شنّ(٢) وما شن؟

فقلت للعجوز:ما هذا ؟قالت:هذا كان زوجا لي، وكان إذا بال لم يق البول(٣)، وكنت أقول له:ويحك! إن الجمل إذا بال تفاحج(٤)،فكان يأبي،وهو ينادي منذ يوم مات،وهو يقول:بول وما بول؟قلت:فما الشن؟قالت:جاءه رجل عطشان،فقال:اسقني، فقال: دونك (٥) الشّن،فإذا ليس فيه شئ فخرّ(٦) الرجل ميتا ،فهو ينادي منذ يوم مات: شن وما شن؟فلما قدمت رسول الله ﷺ أخبرته،فنهي أن يسافر الرجل وحده.

٣٨- لم يكن يري للضيف حقا:

رُي عن الحويرث بن الرباب، قال: بينا أنا بالإثابة(٧) إذ خرج علينا إنسان من قبر، يلتهب وجهه ورأسه ناراً في جامعة(٨) من حديد، فقال: أسقني اسقني، وخرج في أثره إنسان يقول: لا تسق الكافر، فأدركه، وأخذ بطرف السلسلة فكبّه(٩) ثم جرّه، حيث دخلا القبر جميعا. قال الحويرث: فصارت الناقة لا أقدر منها علي شئ

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

(٢) الشّن: القربة الخلق البالية.

(٣) أي لا يتوقي البول ولا يحترس من رذاذه

(٤) فرّق رجليه وباعدما بينهما

(٥) دونك : خذ (اسم فعل أمر)

(٦) سقط

(٧) الإثابة: اسم موضع

(٨) الجامعة: القيد الذي يجمع اليدين إحداهما إلي الاخري

(٩) كبّه : قلبه

حتي التوت بعرق الظبية(١) ، فبركت، فنزلت فصليت المغرب والعشاء، ثم ركبت حتي أصبحت بالمدينة، فأتيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأخبرته، قال: يا حويرث، والله ما اتهمك، ولقد أخبرتني خبراً سديداً. فأرسل عمر إلي مشيخة من كيفي الصغري قد أدركوا الجاهلية، ثم دعا الحويرث فقال: إن هذا قد أخبرني حديثا ولست أتهمه، حدثهم يا حويرث بما حدثتني، فحدثهم، فقالوا: قد عرفنا هذا يا أمير المؤمنين، هذا رجل من بني غفار، مات في الجاهلية ولم يكن يري للضيف حقا.

أعاجيب بني إسرائيل

٣٩- القصاص العادل:

روي سعيد بن جبير (*) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث عيسي بن مريم يحيي بن زكريا - عليهما السلام - في اثني عشر من الحواريين(٢) يعلمون الناس، فكانوا فيما يعلمونهم أن ينهوهم عن نكاح ابنة الأخت، وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه وكان يريد أن يتزوجها ، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمها أنهم نهوا عن نكاح ابنة الأخت قالت لها: إذا دخلت علي الملك، فقال: لك حاجة؟ فقولي له: حاجتي أن تذبح يحيي بن زكريا، فقال: سليني سوي هذا، قالت: ما أسألك إلا هذا، فلما أبت عليه، دعا بطست(٣) ودعا به فذبحه، فبدرت(٤) قطرة من دمه علي الأرض، فلم تزل تغلي، حتي بعث الله بختنصر عليهم، فألقاها في نفسه أن يقتل علي ذلك الدم منهم حتي يسكن، فقتل عليه منهم سبعين ألفا.

(١) عرق الطبية: مكان

(*) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه من عاش بعد الموت

(٢) الحواريين: جمع حواري وهو ناصر الأنبياء، ومنه الحواريون: وهم رسل السيد المسيح.

(٣) طست: إناء من نحاس لغسل الأيدي

(٤) تناثرت وتساقطت

روي عن شهر بن حوشب(١) قال: لما قتله دفع إليها رأسه فجعلته في طست من ذهب وأهدته إلي أمها، فجعل الرأس يتكلم فى الطست :ـ إنها لا تحل له ، ولا يحل لها. ثلاث مرات ، فلما رأت الرأس قالت: اليوم قَرّت عيني، وأمنت علي ملكي، فلبست درعا من حرير، وملحفة من حرير(٢).

٤- بهذا سُمِّيت اليهود:

روي ابن أبي الدنيا عن أبي علي الحنفي (٣) قال : حدثنا عمرو بن سليم المزني (٤) قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، في قوله تعالي ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا﴾(٥)، قال: أختار من صالحيهم سبعين رجلا، ثم خرج بهم، فقالوا: أين تذهب بنا ؟! قال: أذهب بكم إلي ربي، وعدني أن يُنزل عليّ التوراة. قالوا: فلا نؤمن بها حتي ننظر إليه! قال: «فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون»فبقى موسى قائما بين أظهرهم ليس معه منهم أحد﴾، قال:﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ (٦) ماذا أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وليس معي رجل ممن خرج معي، ثم قرأ ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ (٧). فقالوا: هُدْنا إليك (٨). قال: فبهذا تعلقت اليهود(٩). فتهودت بهذه الكلمة.

---

(١) شهر بن حوشب الأشعري، الشامي، مولي أسماء بنت يزيد بن السكن: صدوق، كثير الإرسال والأوهام. تقريب التهذيب ١: ٣٥٥

(٢)الدرع أي القميص أو ثوب تلبسه في بيتها ،أما الملحفة فهي ما يُلتحف به:كل ما يُتغطي به واللباس فوق ما سواه

(٣) عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، أبو علي البصري: صدوق مات سنة ٢٠٩ تقريبا التهذيب ١: ٥٣٦. وفي حـ٢ ص ٤٥٣ «أبو علي الحنفي هو عبيد الله بن علي» وهو خطأ

(٤) عمرو بن سليم المزني: صدوق له أوهام مات من الطبقة السابعة. له أحاديث عند أبي داود وابن ماجه. تقريب التهذيب ٢ : ٥٧ برقم ٤٤٥

(٥) الأعراف : آية ١٥٥

(٦) الأعراف : آية ١٥٥

(٧) البقرة: آية ٥٦

(٨) هُدْنا إليك: أي رجعنا وعُدْنا تائبين

(٩) تعلقت: عُرِفت وسُمِّيت.

٤١- قتلني ابن أخي:

روي سعيد (١) بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت مدينتان في بني إسرائيل إحداهما حصينة، ولها أبواب، والأخري خربة، فكان أهل المدينة الحصينة إذا أمسوا أغلقوا أبوابها، وإذا أصبحوا قاموا علي سور المدينة ينظرون هل حدث فيما حولها حدث؟، فأصبحوا يوما، فإذا شيخ قتيل مطروح بأصل مدينتهم، فأقبل أهل المدينة الخربة فقالوا: أقتلتم صاحبنا؟ وابن أخ له شاب يبكي عنده ويقول: قتلتم عمي، قالوا: والله مافتحنا مدينتنا منذ أغلقناها، وماندبنا من دم صاحبكم هذا بشيء فأتوا موسي عليه السلام، فأوحي الله عز وجل إلي موسي عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ (٢)

قال: وكان في بني إسرائيل غلام شاب يبيع في حانوت له، وكان له أب شيخ كبير، فأقبل رجل من بلد آخر وطلب سلعة له عنده، فأعطاه فيها ثمناً، فأنطلق معه ليفتح حانوته، فيعطيه الذي طلب، والمفتاح مع أبيه، فإذا أبوه نائم في ظل الحانوت. فقال: أيقظه، فقال: والله إن أبي لنائم كما تري، وإني أكره أن أروعه من نومه. فانصرف إلي الشيخ وهو يغط نوما. قال: أيقظه! قال: والله إني لأكره أن أروعه من نومته. فإنصرفا، فأعطاه ضعف ماأعطاه، فعطف علي أبيه، فإذا هو

(١) ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت تحقيق مصطفي عاشور

(٢) البقرة: ٦٧ - ٧١.

أشد ماكان نوما. فقال : أيقظه ! قال : لاوالله لا أوقظه أبداً، ولاأروعه من نومه.

قال : فلما انصرفا، وذهب طالب السلعة استيقظ الشيخ فقال له ابنه : ياأبتاه، والله لقد جاء هاهنا رجل يطلب سلعة كذا وكذا، فكرهت أن أروعك من نومك. فلامه الشيخ، فعوضه الله من بره لوالده أن بقرة من أبقاره هي تلك البقرة التي يطلبها بنو إسرائيل، فأتوه. فقالوا : بعناها، فقال : لاأبيعكموها، قالوا : إذن نأخذها منك! قال : إن غصبتموني سلعتي، فأنتم أعلم . فأتوا موسي عليه السلام، فقال : إذهبوا، فارضوه في سلعته، فقالوا : حكمك ؟! قال : حكمي أن تضعوا البقرة في كف الميزان، وتضعوا ذهبا صامتا في الكفة الأخري، فإذا مال الذهب أخذته. قال : ففعلوا، وأقبلوا بالبقرة حتي أتوا بها إلي قبر الشيخ، وهو بين المدينتين، واجتمع أهل المدينتين، وابن أخيه عند قبره يبكي، فذبحوها، فضرب ببضعة من لحمها القبر، فقام الشيخ ينفض رأسه يقول : قتلني ابن أخي، طال عليه عمري، وأراد أخذ مالي، ومات.

٤٢- مات منذ مائة سنة وماسكنت عنه حرارة الموت

روي جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :«حدثوا عن بني إسرائيل فإنه كانت فيهم الأعاجيب» (١) ، ثم أنشأ يحدث، قال : خرجت رفقة مرة يسيرون في الأرض، فمروا بمقبرة، فقال بعضهم لبعض: لوصلينا ركعتين، ثم دعونا الله لعله يخرج لنا بعض أهل هذه المقبرة فيخبرنا عن الموت.

قال : فصلوا ركعتين،ثم دعوا ،فإذا هم برجل خلاسي (٢)قد خرج من قبر ينفض رأسه،بين عينيه أثر السجود، فقال : ياهؤلاء ! ماأردتم إلي هذا؟ لقد مت منذ مائة سنة،فما سكنت عني حرارة الموت ساعتي هذه،فادعوا الله أن يعيدني كما كنت.

---

(١) رواه أحمد بن منيع عن جابر، وأبو داود عن أبي هريرة، وتمام في فوائده، وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي ٣٩٦ .

(٢) بين السواد والبياض .

٤٣. مات وهو شاب فما هذا البياض ؟!

روي ابن أبي الدنيا عن عون (١) بن موسي أنه سمع معاوية بن قرّة (٢) قال : سألت بنو إسرائيل عيسي عليه السلام ـ قالوا : ياروح الله وكلمته إن سام بن نوح دُفن هاهنا قريبا، فادع الله أن يبعثه لنا، قال : فهتف نبي الله به، فلم ير شيئا، وهتف فلم ير شيئا، فقالوا : لقد دفن هاهنا قريبا، فهتف نبي الله فخرج أشمط، قالوا : ياروح الله وكلمته : نُبيِّنا (٣) أنه مات وهو شاب فما هذا البياض ؟!، فقال له عيسي عليه السلام : ماهذا البياض ؟ قال : فظننت أنها الصيحة. ففزعت.

٤٤. ملكان أبيضان وملكان أسودان !

أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن شهر بن حوشب قال : كان لي ابن أخ مراهق، فغزوت به معي، فمرض، فدخلت بعض الصوامع فقمت أصلي، فانشقت الصومعه، فدخل ملكان أبيضان وملكان أسودان، فقعد الأبيضان عن يمينه والأسودان عن يساره، فلمسه الأبيضان بأيديهما، فقال الأسودان: نحن أحق به، وقال الأبيضان: كلا، فأخذ أحد الأبيضين أصبعيه فأدخلهما في فيه، فقلب لسانه، فقال: الله أكبر ! نحن أحق به، كبر تكبيرة يوم فتح أنطاكية، فخرج شهر بن حوشب فأخبر الناس، فحضروا للصلاة عليه .

٤٥. سبقت له السعادة وهو في بطن أمه

أخرج ابن أبي الدنيا، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر من طريق، عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف ـ

---

(١) عون بن موسي البصري : أبو روح، ثقة ، الجرح والتعديل ٦:٣٨٦

(٢) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني : أبو أياس البصري، ثقة، عالم تقريب التهذيب ، ٢:٢٦١ .

(٣) نبينا : أخبرنا وأعطنا علما من قبل.

رضي الله عنه - مرض مرضاً، فأغمي عليه، حتي ظنوا أنه قد فاضت نفسه، فقاموا من عنده وجللوه ثوبا ، ثم أفاق، فقال : إنه أتاني ملكان غليظان ، فقالا: انطلق بنا نحاكمك إلي العزيز الأمين، فذهبا بي، فلقيهما ملكان هما أرق منهما وأرحم، فقالا: أين تذهبان به ؟ قالا : نحاكمه إلي العزيز الأمين، قالا : دعاه . فإنه ممن سبق له السعادة وهو في بطن أمه، وعاش بعد ذلك شهراً، ثم توفي رضي الله عنه.

والحمد لله رب العالمين.

* * * *

المراجع

١- تفسير ابن كثير

٢- البداية والنهاية لابن كثير

٣- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني

٥- شرح الصدور بشرح حال الموتي والقبور للحافظ السيوطي

٦- التذكرة في أحوال الموتي وأمور الآخرة للقرطبي

٧- رياض الصالحين للنووي

٨- نهج البلاغة للإمام علي بشرح الأستاذ الإمام محمد عبده

٩- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول للحكيم الترمذي

١٠- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية

١١- أدب الدين والدنيا لأبي الحسن محمد بن حبيب البصري الماوردي بشرح وتحقيق عبدالله أحمد أبو زينة

١٢- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ المنذري تحقيق مصطفي محمد عمارة

١٣- منهاج القاصدين للإمام الشيخ ابن قدامه المقدس

١٤- ظواهر حجرة تحضير الأرواح للدكتور ادوين فردريك باورز ترجمه أحمد فهمي أبو الخير

١٥- من عاش بعد الموت للحافظ ابن أبي الدنيا تحقيق مصطفي عاشور

١٦- هادي الأرواح للأستاذ الفاضل/ مصطفي محمد الطير

١٧- شرح الأربعين النووية للإمام يحيي بن شرف الدين النووي

١٨ـ الحياة البرزخية في القرآن الكريم للدكتور محمد بن الشريف
١٩ـ الحياة البرزخية من الموت إلي البعث محمد عبد الظاهر خليفة
٢٠ـ كيف تنجو من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ساعد بن عمر بن غازي
٢١ـ الحياة والموت : لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي
٢٢ـ يسألون النبي عبد العزيز الشناوي
٢٣ـ القبر عذابه ونعيمه : علي الطهطاوي
٢٤ـ من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور موسي الخطيب
٢٥ـ إجابة السائلين عن الموت والقبر ويوم الدين. محمد الصايم
٢٦ـ الفتن والملاحم لابن كثير
٢٧ـ الإذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة للسيد محمد صديق حسن
٢٨ـ الروح لابن القيم
٢٩ـ فقه السنة للشيخ سيد سابق
٣٠ـ رحلة الخلود حسن أيوب
٣١ـ الثبات عند الممات لابن الجوزي
٣٢ـ ميزان العمل للإمام الغزالي . مكتبة صبيح، القاهرة ١٩٦٣م.
٣٣ـ إغاثة اللهفان لابن القيم
٣٤ـ خطب المصطفى ﷺ ترتيب / محمد خليل
٣٥ـ الحياة الأخري د. عبد الرزاق نوفل

الفهرس